بلاغة الخطاب

في

رسالة عبد الحميد الكاتب للكُتاب

إعداد

أ. د/إيمان سعيد حسن موسى

أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

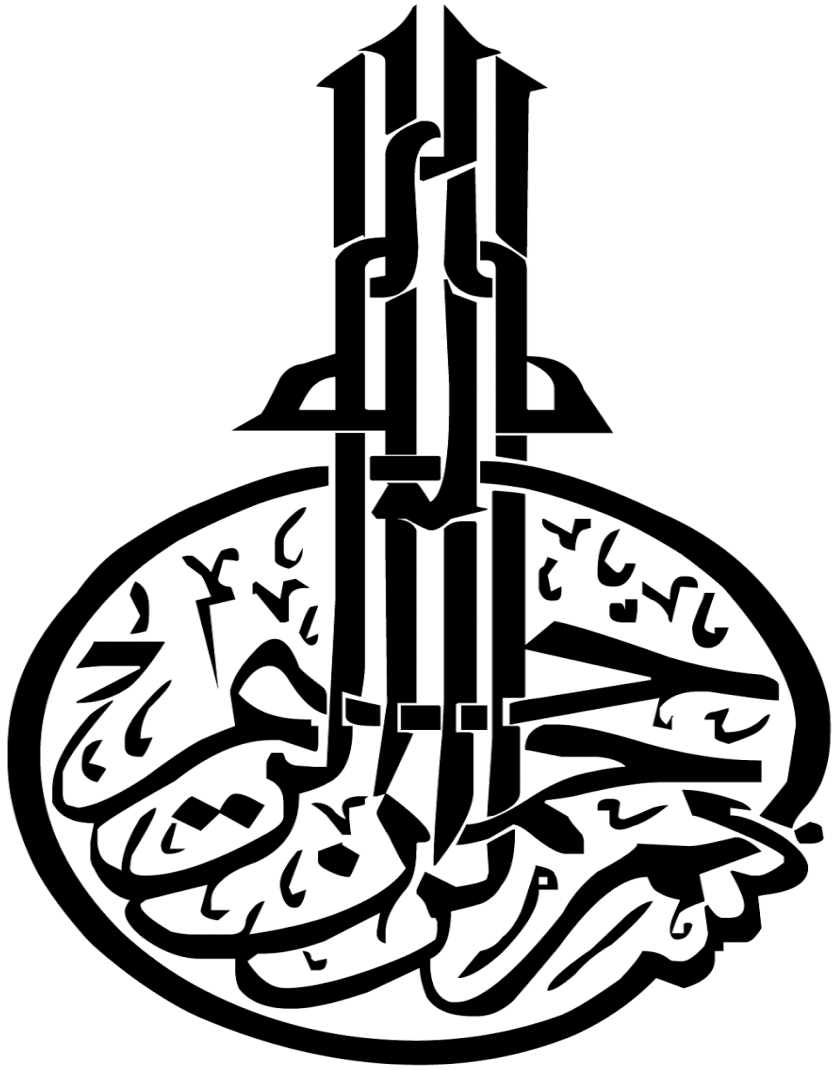

بلاغة الخطاب في رسالة عبد الحميد الكاتب للكتاب

إيمان سعيد حسن موسى
قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني:
Emansaid islam. alex@azhar. edu. eg

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان بلاغة الخطاب متخذة من رسالة عبد الحميد الكاتب للكتاب أنموذجًا للتطبيق ، وقد قمت ببيان ما امتازت به رسالته من ألوان وخصائص بلاغية ، تآزرت في بيان المعنى والتأثير في السامعين، وكيف راعى عبد الحميد مستويات التفكير المختلفة تبعًا لفكر الآخر ونمط شخصيته، مع بيان الطرق المستخدمة من خلال هذه الرسالة للتأثير في المخاطبين ، وتنوع الأساليب اللغوية في إقناع المخاطب والتأثير على فكره، حيث تنوعت بين الأساليب الإنشائية تارة ،والأساليب الخبرية تارة أخرى، مع عمق المعنى ووضوح الألفاظ ،فنراه يلون رسالته بخطوط من المشاعر والأحاسيس، ممزوجة بعاطفة إنسانية نحو جماعة الكتاب ،ووضع خطة محكمة للتعبير عنها ،وربط ما بين الأقسام ،وجمع من بين البراهين أشدها إقناعا وأبلغها أثرا ،وذلك حتى تترك الأثر الطيب في نفس من يقرؤها .

الكلمات المفتاحية: بلاغة -الخطاب -رسالة-الكتاب -عبد الحميد.

The eloquence of the discourse in the letter of Abdul Hamid the writer to the book

Dr. Eman Said Hassan Musa
Assistant Professor، Rhetoric and Criticism، College of Islamic and Arabic Studies for Girls، Alexandria، Al-Azhar University، Egypt
Email: Emansaid_islam. alex@azhar. edu. eg

Abstract:

This study aims to clarify the eloquence of the discourse, taken from Abdul Hamid Al-Kateb's letter to the book as a model for application. With an explanation of the methods used through this message to influence the addressees, and the diversity of linguistic methods in persuading the addressee and influencing his thought, as it varied between the construction methods sometimes, and the informative methods at other times, with the depth of meaning and clarity of words, so we see him coloring his message with lines of feelings and sensations, mixed with emotion Humanity towards the group of writers, and he developed a tight plan for expressing it, linking the sections, and gathering among the most convincing and most influential proofs, so as to leave a good impact on the soul of those who read it .

Key words:
Rhetoric – discourse – message – book – Abdul Hamid

مقدمة

تعد اللغة وسيلة لنقل الأفكار والمعاني، تلك اللغة التي تحمل بين حروفها دلالات عديدة تختلف تبعًا لقصد المتكلم، فهي أداة التواصل بين المرسل والمتلقي، ولا يتأتى التلاقي والتواصل إلا من خلال لغة الخطاب، تلك اللغة الخطابية التي خصها الله -عز وجل- بأن جعلها سنة إلهية فطر النفس البشرية عليها، وبدأ بها ذاته العلية، يوم أن خاطب أول نفس بشرية خلقها تمثلت بنبي الله آدم -عليه السلام- واستمرت من بعد ذلك على لسان أنبيائه، ورسله إلى أقوامهم الذين أرسلوا لهم لهدايتهم ودعوتهم إلى سبيل الهدى ودين الحق، فالخطاب له دور في تقريب وجهات النظر وإيضاح الحقائق، وتوجيه المخاطبين للوجهة التي يريدها صاحب الخطاب، والرسالة من الأجناس الأدبية التي تستخدم كشكل من أشكال التواصل مع الآخر، يتخذ منها المرسل وسيلة لإقناع المرسَل إليهم بأفكاره، وآرائه، وتحقيق أهدافه ومقاصده، من خلال وسائل لغوية يتبناها المتكلم للتغيير من فكر، ومعتقد المتلقي، وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله، فالرسالة فن عريق في الأدب العربي وضع أصولها، وأطالها، وفصلها عبد الحميد الكاتب ابن يحيى، الملقب بالكاتب، برع في كتابتها حتى غدت رسائله مضرب المثل في الإتقان.

وقد وقع الاختيار على رسالة عبد الحميد الكاتب للكتاب للدراسة لما اشتملت عليه من توجيهات كثيرة، فالرسالة تعد رسالة توجيهية في المقام الأول، فقد احتشدت بالأساليب اللغوية التوجيهية المختلفة، ومن ثم جاء موضوع الدراسة بعنوان «**بلاغة الخطاب في رسالة عبد الحميد الكاتب للكتاب**».

وقد نهجت في هذا البحث: المنهج التحليلي التأملي، حيث قمت بالكشف عن دقائق الأسرار البلاغية، واستخراج فنون البلاغة من تلك الرسالة، وما فيها من معان جمالية.

الدراسات السابقة:

- فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، إعداد: فيصل حسين طحيمر العلي، إشراف: أ. د/ محمد محمود قاسم نوفل، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية.
- عبد الحميد الكاتب، علي محمد كرو، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق ١٣٤٨هـ، ١٩٢٩م.
- البعد الحجاجي لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب، الأستاذة: بولفعة وافية، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية المجلد ٥، العدد ١٢، ديسمبر ٢٠١٧م.
- ظاهرة البديع في رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب، أ. د/ أحمد عبد الرحمن الذينيات، د/ نزار عبد الله الضمور، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد ٧٩، العدد (٤)، إبريل ٢٠١٩م.

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تكون على النحو التالي:

مقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياري له وخطة البحث.

تمهيد: (الكاتب ورسالته) وكان على النحو التالي:

١-نبذة مختصرة عن فن الخطاب والترسل.

٢-نبذة مختصرة عن عبد الحميد الكاتب ورسالته.

المبحث الأول: مقدمة الرسالة (منزلة أهل الكتابة).

المبحث الثاني: الأخلاق والصفات الواجب توافرها في الكتاب.

المبحث الثالث: عدة الكتاب وعتادهم.

المبحث الرابع: تقوى الله ومراقبته في التعامل، والمحاورة مع الناس.

المبحث الخامس: القصد والاعتدال في أمور الحياة.

المبحث السادس: خاتمة الرسالة (من يلزم النصيحة يلزمه العمل)

المبحث السابع: السمات الأسلوبية والخصائص التعبيرية لعبد الحميد في رسالته.

خاتمة البحث.

ثبت للمصادر والمراجع، فهرس محتويات البحث.

والله ولي التوفيق

تمهيد: الكاتب ورسالته

أولًا: تعريف الخطابة في اللغة والاصطلاح:

الخطاب في اللغة:

قال ابن منظور: «الخطب " الشأن أو الأمر، صغر أو عظم، يقال: خطب فلانُ إلى فلانٍ فخطبه وأخْطَبه أي أجابه، والخطب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وخطب الخاطِب على المنبر، واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام: الخُطبة»[(١)].

والخُطبة عند العرب: الكلام المنثور، والسجع ونحوه، وإليه ذهب "أبو إسحاق" وفي التهذيب، الخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر [(٢)].

الخطاب في الاصطلاح:

هو عملية اتصال تتم في إطارين: الإطار اللغوي المكون من الجمل المكتوبة أو المنطوقة ينتجها مرسل واحد، أو عدة متخاطبين كما يحدث في

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، الناشر: دار صادر –بيروت–الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ مادة خطب.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى بن محمد الحسني الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ج(١)، ط(١)، سنة ٢٠٠٧م، ص(٢٢٨/ ٢٢٩)، وينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: بولاق المصرية، الطبعة الثانية ١٩٥٧م مادة خطب، وينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/ تأليف أحمد بن محمد بن علي الفيومي الناشر/ المكتبة العلمية بيروت/ مادة خطب، المفردات في غريب القرآن/ تأليف: الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ص: ١٥ الناشر: دار المعرفة/ بيروت بدون تاريخ

الخطاب أو غيره، وإطار غير لغوي يشمل العادات والأعراف والتقاليد والأخلاق، والخطاب باعتباره حدثًا كلاميًا يتألف من عدة عناصر هي: المرسل، والمستقبل أو الجمهور والرسالة أو الموضوع والهدف، ويؤثر هذا الهدف تأثيراً جليًا في استراتيجية المرسل فيملي عليه اختيارات معينه بين البدائل التي يتيحها له النظام اللغوي، وقد يؤثر في صورة الحديث وطريقة بنائه، ويربط بعض علماء اللغة هدف الخطاب بالأثر الذي تحدثه وسيلة الاتصال بين المرسل والمتلقي "[1]

ولكن هذا الأثر لا يحدث إلا بتوفير شروط التأثير على المتلقي حيث: " يتوجب على المخاطب لكي يقنع المخاطب بزيادة قدره أن يقنعه أولاً بزيادة قدر خطابه، وما ينطوي عليه من معانٍ وأفكار على معنى أنه يجب عليه أن يمكن لمعانيه في قلوب مخاطبيه حتى يتمكن هو نفسه من تلك القلوب، أي حتى يفرض محبته ومكانته على الناس"[2]

كما ارتبط الخطاب بمعناه الشائع بلجوء المتكلم إلى أسلوب الإقناع بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة، متكأ على ملكته اللغوية وهادفًا إلى الوصول لتحقيق مقصد معين وبهذا" يضع الخطاب في اعتباره الواقع والسياق وحالة المخاطب، فيحاول أن يجد برهانه الأخير عبر حركة تردد

---

(1) الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١١٤٢٩/ ٢٠٠٨، ص: ٢٣

(2) بتصرف من شعرية الخطاب في التراث النقدي والبلاغي، عبدالواسع أحمد الحميري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط: ١، ١٤٢٥/ ٢٠٠٥، ص : ٧٣.

بين اتجاهين، قوته البلاغية من ناحية، والطرف الإنساني الذي يشكله المثلث من ناحية أخرى،

وقد تعاملت البلاغة مع الأصناف الثلاثة للخطاب (الخطبة، القصيدة، القرآن الكريم) والخطابة يعرفها د/ احمد الحوفي بقوله: هي فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته، فلابد من مشافهة، وإلا كانت كتابة أو شعرًا مدونًا... »[1].

وعرفها الشيخ/ علي محفوظ بأنها «ملكة الاقتدار على الإقناع واستمالة القلوب وحمل الغير على ما يراد منه»[2].

ثانيًا: تعريف الرسالة في اللغة والاصطلاح:

الرسالة في اللغة: مادة (رس ل) تدور حول معان كثيرة يمكن الإشارة إلى بعض منها:

- رسل: الراء والسين واللام، أصل واحد مطرد منقاس يدل على الانبعاث والامتداد.
- الرْسل: السير السهل[3]، وأرسل الكلام: أطلقه من غير تقييد، وراسله في عمله: تابعه فيه.

---

[1] الخطاب العربي المعاصر قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة، فادي إسماعيل، ط/ ٢، ١٩٩٢، ص: ١٣، وينظر: فن الخطابة، أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٣٨م، ص(٥).

[2] فن الخطابة، الشيخ أحمد أبو زهرة، ص(١٩)، الناشر دار الفكر العربي بدون تاريخ.

[3] معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون دار الفكر جزء (٣) مادة رسل.

- يقال: نثر مرسل: لا يتقيد بسجع، وترسل الكاتب: أتى بكلامه مرسلًا من سجع[1].

الترسل في الاصطلاح:

☒ منهم من يعرفه بأنه «فن قائم على خطاب يوجهه شخص إلى شخص آخر، أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام رسمي آخر»[2].

☒ ومنهم من يقول: الترسل من المصطلحات الأدبية المولدة، ويراد به كتابة الرسائل[3].

وعليه فالترسل مصطلح أدبي، يقوم على ترجمة ما يدور في العقل من كلام حول مواضيع معينة على شكل رسائل، قد تكون رسمية، أو إخوانية، أو أدبية، تصدر من كاتب يحاول أن يبسط من خلالها ما يريد على شكل أفكار متتابعة، يترجمها لكلمات يؤلف بينها، لتكون جملًا وفقرات بأسلوب فيه تؤدة وسهولة ورفق من المرسل إلى المرسل إليه[4].

❁❁❁❁❁

---

(1) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، المؤلف: لجنة من مجمع اللغة العربية طبعة (١٠)، سنة ١٩٩١م.

(2) بيان العرب الجديد، حسين غالب/ دار الكتاب اللبناني ط(١)، ١٩٧١م، ص(١٨١).

(3) الأدب في ظل الخلافة العباسية/ علي جميل مهنا، ط(١)، ١٩٨١م، ص(٢٢٢).

(4) فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد/ فيصل حسين العلي/ ص(١١) رسالة ماجستير إشراف أ. د/ محمد محمود قاسم نوفل/ نابلس فلسطين، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

الخطابة والتوسل في العصر الأموي:

إن قطرات الكتابة الفنية تجمعت في بحيرة الترسل، التي ترفدها جداول الترسل الجاهلي، وأخرى من الترسل النبوي والترسل الراشدي، ولكن أمطار الترسل في المرحلة الأموية كانت غزيرة وقوية، حتى فاضت البحيرة وتحولت إلى بحر من الترسل، جعلت المرحلة الأموية تحتل مركز الصدارة في تاريخ الترسل العربي(١).

خصائص فن الترسل في العصر الأموي:

١-ظهور معالم الصنعة في فن الكتابة، حيث الإطالة والسجع والمجانسة، والمقابلات والتصوير وحسن النسق، وتجاوز الكاتب الإقناع إلى مستوى الإمتاع وكثرة التفاصيل..."(٢).

٢-سيطر التوازن الإنشائي على فنون النثر العربي خاصة الرسالة، وذلك من أواخر العصر الأموي إلى أواسط العصر العباسي كما بدا ذلك واضحًا في ترسل عبد الحميد الكاتب وغيره(٣).

٣-أصبح للرسالة مطالع فيها تحميدات تختلف باختلاف مقام الذي تصدر عنهم أو توجه إليهم، ولها خواتيم تختلف بحسب ذلك، وظل الترسل في العصر الأموي في أغلب الأحيان فنًا رسميًا يتعلق بأمور الدولة(٤).

٤-حسن اختيار الألفاظ، وبراعة أداء المعاني، وأناقة صوغ الكلام، مع التبسط في شرح الغرض، والاسترسال في تفريغ المعاني(٥).

❁❁❁❁❁

(١) فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد / فيصل حسين العلي / ص: ٣٨.

(٢) النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، مي يوسف خليف، ص: ١٦٠/ ١٦١.

(٣) فن المراسلة عند مي زيادة، أمل داعوق سعد، ص(٢٩).

(٤) تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ط(٢) ج(١)، ص(٢٧٥).

(٥) الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم/ كمال اليازجي/ دار الجليل ط(١)، ١٩٨٦م، ص(٦٣).

نبذة مختصرة عن عبد الحميد الكاتب ورسالته:

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد[1](وقيل: سعيد)[2] وأضاف المسعودي[3]بعد سعد فقال بن عبد الله بن جابر بن مالك بن حجر ابن معيص ابن عامر بن لؤي بن غالب، ولكن يبدو أن هذه الرواية ربما اختلطت الأسماء فيها بنسب مولاه العلاء، وهو مولى العلاء بن وهب العامري القرشي، نسبة إلى عامر بن لؤي بن غالب[4]ولؤي ينتهي إليه شرف قريش، ويكنى بأبي غالب (وقيل: كنيته: أبو يحيى)[5].

---

[1]عبد الحميد الكاتب/ إحسان عباس/ دار الشروق للنشر والتوزيع، ص(٢٥)، وفيات الأعيان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر لابن خلكان، ج(٣) ص(٢٢٨)، مروج الذهب، علي بن الحسين بن علي المسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عب الحميد ج(٣) ط(٣)، ١٩٥٣م، ص: ٢٦٣، معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج(٦)، ص(١٠٦).

[2]جواهر الأدب، السيد أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف، ج(١) ص(١١٨)، أعلام الأدب في عصر بني أمية: محمد عبد المنعم خفاجي، رابطة الأدب الحديث، ج(٢)، ط(١)، ١٩٥٤م، ص(١١٦).

[3]التنبيه والإشراف/ علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار التراث، بيروت، ١٩٦٨م، ص(٢٨٤).

[4]معجم المؤلفين/ عمر رضا كحالة، ج (٦) ص(١٠٦)، تاريخ الآداب العربية، رشيد يوسف عطا الله، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط(١)، ١٩٨٥م، مجلد ١ ص(٣٥٨).

[5]عبد الحميد بن يحيى الكاتب، إحسان عباس، ص: ٤٧، نقلاً عن تاريخ الذهبي (٥/ ٢٧٠).

وهو من الموالي فارسي من أصل غير عربي، فقد قيل إن جده من سبي القادسية، انضم إلى عامر بن لؤي بالحلف والموالاة وانتسب إليه[1]، ولد سنة (٨٠ أو ٨١)[2] ، ويرى بعضهم أنه ولد في خلافة الوليد بن عبد الملك ما بي (٨٦و ٩٦هـ) في دمشق أو قريباً منها[3]، قتل في بوصير من أرض الفيوم بمصر سنة (١٣٢هـ) إثر مقتل الخليفة مروان بن محمد علي يد السفاح العباس[4].

بلاغته وأسلوبه:

كان عبد الحميد على ما قال صاحب العقد الفريد أول من فتق أكمام البلاغة وسهل طرقها، وفك رقاب الشعر، ضربت الأمثال ببلاغته، وقد أشار البحتري إلى ذلك في قصيدته إلى محمد بن عبد الملك قال:

وتَفَننت فِي الَبلاغَةِ حتىٰ عطل الناس فنُ عبد الحميِد

وقال ابن الرومي لأبي الصقر:

لو أن عبد الحميد اليوم شاهده لكان بين يديه مُذْعِنًا وَسِنًا

وقال ابن اسفنديار الكاتب:

وهو في الحذق والبلاغة في الت طفيل عبد الحميد في الكتاب[5]

---

[1] أمراء البيان، محمد كرو علي، ج(١) ص(٤١).

[2] مجلة مجمع اللغة العربية، محمد كامل عياد، دمشق، مج (٦٠)، ج(٤)، ص(٧٧٠).

[3] معجم المؤلفين، عمررضا كحالة، ج(٦)، ص(١٠٦)، جواهر الأدب السيد أحمد الهاشمي، ج(١)، ص(١١٩).

[4] العقد الفريد لابن عبد ربه، ج(٤) ص(٢٤٧)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٤٠هـ

[5] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، المؤلف/ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار المعارف، القاهرة، بدون ص(١٩٧).

ونظراً للمكانة العالية التي وصل إليها عبد الحميد الكاتب، فقد أعجب به الكثير من عامة الناس وخاصتهم، حتى جعلهم يكثرون من الحديث عن شهرته، والإعجاب بترسله، يقول الثعالبي «**بدئت الكتابة بعبدالحميد وختمت بابن العميد**[1] » ولقب عبد الحميد بالكاتب تعظيمًا لشأنه، واتفق الجميع على أنه زعيم الكتابة، لأنه أول من وضع للكتابة الأصول والقواعد (كالإطناب، والتحميد والمنطقية في العرض، وقواعد المطلع والختام....) وصار إمام هذه الصناعة[2].

والحق «أن النثر الفني تطور تطورًا واسعًا عند عبد الحميد، فقد تحولت الرسالة عنده إلى رسائل أدبية حقيقية تكتب في موضوعات مختلفة[3] فهو زعيم الأدب الرسمي، وإليه يرجع الفضل في جعل أسلوب الكتابة في الدولة أسلوبًا أدبيًا عاليًا[4].

وإذا كان عبد الحميد قد تفنن في الترسل، وسار به إلى شاطئ الكتابة الفنية المميزة، فإنه لحري أن أسجل له بعض الأقوال المأثورة، والتي صارت كالأمثال لبلاغتها، ودقة معناها، منها قوله عن مكانة الكتاب: «أكرموا الكتاب فإن الله عز وجل أجرى أرزاق الخلق على أيديهم»[5]، «القلم شجرة

---

(1) يتيمة الدهر، الثعالبي، تحقيق/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج(٣)، ص(١)، ١٩٨٣م، ص(١٨٣).

(2) تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المطبعة البوليسية، ص(٣٣٤).

(3) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دارا لمعارف، مصر ص(٤)، ص(٤٧٨).

(4) مجلة مجمع اللغة العربي، خليل مردم بك، دمشق، ج(١٤)، ص(٣٩٥).

(5) كتاب الوزراء والكتاب، محمد بن عبدوس الجهشباري، ط(١)، ص(٨٠).

ثمرتها الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤة الحكمة»[1]. وعن بلاغة الكتاب يقول: «لو كان الوحي ينزل على أحد بعد الأنبياء فعلي بلغاء الكتاب»[2]

ويعرف البلاغة فيقول: «هي ما رضيته الخاصة وفهمته العامة»[3]

❁❁❁❁❁

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان، ج(٣)، ص(٢٢٨).

(٢) الإعجاز والإيجاز للثعالبي، ص(١١١).

(٣)الإعجاز والإيجاز للثعالبي، ص(١١١).

نبذة مختصرة عن رسالة عبد الحميد وآراء العلماء فيها:

تأتي هذه الرسالة في المرتبة الثانية من حيث الحجم بعد رسالة عبد الحميد إلى ولي العهد، وهو يتحدث فيها بإخلاص المسلم الذي يخشى الله، يضع فيها قوانين الأخلاق للكتاب حتى تسمو بها نفوسهم وتعلو بها مكانتهم.

عن تفردها يقول سعيد منصور: «لم يحدث في تاريخ الكتابة الفنية - فيما وصلنا من نصوصها- أن خوطبت جماعة الكتاب، قبل عبد الحميد بشيء قليل أو كثير مما خاطبهم به، ولذلك فإن رسالته تعتبر بلا جدال رائدة لكل من خاطب الكتاب من بعده حتى عصر القلقشدي»(١).

وهذه الرسالة في فكرها وصوغها وأسلوبها ومضمونها من أروع ما سجلته الكتابة العربية في مثل هذا الباب(٢).

«إن هذه الرسالة صدرت من شخص عاش تجربة الترسل، في موقع متقدم عند الولاة والأمراء والخلفاء، فلذلك جاءت رسائله بشكل عام، ورسالته هذه بشكل خاص، نتيجة تجربة صادقة مارسها الكاتب بنفسه، لينتج لنا ترسلًا فريدًا من نوعه، لم يسبق إليه على مستوى الكم أو الكيف، فعبد الحميد ينشد لمجتمع الكتاب أن يكون مجتمعًا مثاليًا، يعيش في مدينة فاضلة، يتنافسون التنافس البريء والبناء، الذي يحكمه الحب والتعاطف والمواساة، وهذا الأمر يظهر سيطرة النزعة الأخلاقية على قلم وفكر عبد الحميد، والتي تعكس شخصيته وذاته»(٣).

---

(١) الفن الشعري في نثر عبد الحميد فكر ونغم، سعيد منصور، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٩م، ص(٣٣).

(٢) الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، مصطفى الشكعة، كتاب النثر، ص(٢٢٦).

(٣) الفن الشعري في نثر عبد الحميد، سعيد منصور، ص(٣٩-٤١).

وتعد هذه الرسالة من الرسائل الإخوانية، لأنها موجهة إلى زملائه في المهنة، وأخوته في الصنعة، إضافة إلى ما اشتملت عليه من رقيق العبارة، وشفافية المعنى، ونبل العواطف والأحاسيس، فلا تحمل صفة الرسمية، " ولهذا انتفت عنها في حقيقة الحال السمة الديوانية " .

❁❁❁❁❁

نص الرسالة

رسالة عبد الحميد بن يحيى الكاتب للكتاب[1]:

كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب[2] رسالة إلى الكتاب يوصيهم فيها، قال " أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم، فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافًا، وإن كانوا في الحقيقة سواء، وصرفهم في صنوف الصناعات، وضروب المحاولات، إلى أسباب معايشهم، وأبواب أرزاقهم، فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات، أهل الأدب والمروءة والعلم والرواية، بكم تنتظم للخلافة محاسنها، وتستقيم أمورها، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم، وتعمر بلادهم، لا يستغني الملك عنكم، ولا يوجد كاف إلا منكم، فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون، فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم، ولا نزع عنكم ما أضفاه[3] من النعمة عليكم.

وليس أحد أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمودة، وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب، إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب

---

(١) جمهرة رسالة العرب، أحمد زكي صفوت، ج(١) ص(٤٥٥-٤٦٠)، منهم من يعتبر هذه الرسالة ديوانية لأنها ستقرأ في الولايات الإسلامية على الكتاب.

(٢) هو عبد الحميد بن يحيى العامري، كاتب دولة مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين، قتله السفاح سنة ١٣٢هـ.

(٣) أسيغه.

من صفتكم، فإن الكاتب يحتاج من نفسه، ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره، أن يكون حليمًا في موضع الحلم، فهيمًا في موضع الحكم، مقدامًا في موضع الإقدام، محجامًا في موضع الإحجام، مؤثرًا للعفاف، والعدل والإنصاف، كتومًا للأسرار، وفيا عند الشدائد، عالمًا بما يأتي من النوازل، يضع الأمور مواضعها، والطوارق أماكنها، قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه، فإن لم يحكمه، أخذ منه بمقدار يكتفي به، يعرف بغريزة عقله، وحسن أدبه، وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره، فيعد لكل أمر عدته وعتاده[1]، ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته، فتنافسوا، يا معشر الكتاب، في صنوف الآداب، وتفقهوا في الدين، وأبدئوا بعلم كتاب الله ـ عز وجل ـ والفرائض، ثم العربية؛ فإنها ثقاف[2] ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط، فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار، واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم، وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم، ولا تضيعوا النظر في الحساب، فإنه قوام كتاب الخراج، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها[3]، ودنيها، وسفساف[4] الأمور ومحاقرها؛ فإنها مذلة للرقاب، مفسدة للكتاب، ونزهوا صناعتكم عن الدناءات، واربأوا[5] بأنفسكم عن السعاية والنميمة، وما فيه

(١) العتاد: العدة.

(٢) الثقاف في الأصل: ما تسوى به الرماح.

(٣) رفيعها.

(٤) الرديء من كل شيء.

(٥) ربأ: علا وارتفع.

أهل الجهالات، وإياكم والكبر والصلف والعظمة، فإنها عداوة مجتلبة من غير إحنة، وتحابوا في الله ـ عز وجل ـ في صناعتكم، وتواصوا عليها بالذي هو أليق بأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم، وإن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه، حتى يرجع إليه حاله، ويثوب[1] إليه أمره، وإن أقعد أحدكم الكِبَرُ عن مكبه ولقاء إخوانه، فزوروه وعظموه وشاوروه، واستظهروا[2] بفضل تجربته وقدم معرفته، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه، أحفظ منه على ولده وأخيه، فإن عرضت في الشغل محمدة، فلا يضيفها إلا إلى صاحبه، وإن عرضت مذمة، فليحملها، هو من دونه، وليحذر السقطة والزلة، والملل عند تغير الحال، فإن العيب إليكم معشر الكتاب، أسرع منه إلى القراء، وهو لكم أفسد منه لها، فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه الرجل، يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه؛ فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه، وشكره، واحتماله، وصبره، ونصيحته، وكتمان سره، وتدبير أمره، ما هو جزاء لحقه، ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة إليه، والاضطرار إلى ما لديه، فاستشعروا ذلكم – وفقكم الله من أنفسكم– في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والإحسان، والسراء والضراء؛ فنعمت الشيمة هذه لمن وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة، فإذا ولي الرجل منكم، أو صير إليه من أمر خلق الله وعياله أمر؛ فليراقب الله ـ عز وجل ـ، وليؤثر طاعته، وليكن على الضعيف رفيقا، وللمظلوم منصفا، فإن الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أرفقهم بعياله، ثم ليكن

(١) يرجع.

(٢) تقووا.

بالعدل حاكمًا، وللأشراف مكرمًا، وللفيء موفرا، وللبلاد عامرًا، وللرعية متألفا، وعن إيذائهم متخلفًا، وليكن في مجلسه متواضعًا حليمًا، وفي سجلات خراجه واستقضاء حقوقه رفيقًا، وإذا صحب أحدكم رجلًا فليختبر خلائقه، فإذا عرف حسنها وقبيحها؛ أعانه على ما يوافقه من الحسن، واحتال لصرفه عما يهواه من القبيح، بألطف حيلة، وأجمل وسيلة، وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرًا بسياستها، التمس معرفة أخلاقها، فإن كانت رموحًا(١) لم يهجها إذا ركبها، وإن كانت شبوبًا(٢) اتقاها من قبل يديها، وإن خاف منها شرودًا توقاها من ناحية رأسها، وإن كانت حرونًا قمع برفق هواها في طريقها، فإن استمرت غطفها يسيرًا؛ فيسلس له قيادها، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم، وخدمهم وداخلهم، والكاتب بفضل أدبه، وشريف صنعته، ولطيف حيلته، ومعاملته لمن يحاوره من الناس ويناظره، ويفهم عنه أو يخاف سطوته، أولى بالرفق بصاحبه ومداراته وتقويم أوده، من سائس البهيمة التي لا تحير(٣)جوابًا، ولا تعرف صوابًا، ولا تفهم خطابًا، إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها؛ ألا فأمعنوا رحمكم الله في النظر، وأعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر، تأمنوا بإذن الله ممن

(١) رمحه الفرس كمنع: رفسه.

(٢) شب الفرس كضرب ونصر: رفع يديه.

(٣) لا ترد.

صحبتموه النَّبْوة، والاستثقال والجفوة، ويصير[1] منكم إلى الموافقة، وتصيروا منه إلى المؤاخاة والشفقة، إن شاء الله تعالى.

ولا يجاوزن الرجل منكم - في هيئة مجلسه، وملبسه، ومركبه، ومطعمه، ومشربه، وبنائه[2] وخدمه وغير ذلك من فنون أمره- قدر حقه؛ فإنكم - مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم- خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير، وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير، واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم، وقصصته عليكم، واحذروا متالف السرف، وسوء عاقبة الترف؛ فإنهما يعقبان الفقر، ويذلان الرقاب، ويفضحان أهلهما، ولا سيما الكتاب، وأرباب الآداب، وللأمور أشباه، وبعضها دليل على بعض؛ فاستدلوا على مؤتنف[3] أعمالكم مما سبقت إليه تجربتكم، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة، وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة.

واعلموا أن للتدبير آفة متلفة، وهي الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ عمله ورؤيته؛ فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه، وليوجز في ابتدائه وجوابه، وليأخذ بمجامع حججه؛ فإن ذلك مصلحة لفعله، ومدفعة للتشاغل عن إكثاره، وليضرع إلى الله في صلة توفيقه، وإمداده

---

(١) تأمنوا؛ مجزوم في جواب الأمر، أو بعبارة أخرى جواب لشرط محذوف مع فعل الشرط أي إن تعملوا... تأمنوا؛ ومن ثم يجوز في "ويصير" ثلاثة أوجه الجزم، والنصب والرفع كما هو مشهور. فقول بعضهم: "ولعل ثبوت الياء قبل الراء من زيادة الناسخ" مردود.

(٢) بنى على أهله، وبها بناء، وابتنى: زفها.

(٣) مبتدأ.

بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه؛ فإنه إن ظن منكم ظان، أو قال قائل: إن الذي برز من جميل صنعته، وقوة حركته؛ إنما هو بفضل حيلته، وحسن تدبيره، فقد تعرض بظنه أو مقالته إلى أن يكله الله ـ عز وجل ـ إلى نفسه، فيصير منها إلى غير كاف، وذلك على من تأمله غير خاف.

ولا يقل أحد منكم إنه أبصر بالأمور، وأحمل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته؛ فإن أعقل الرجلين عند ذوي الألباب من رمى بالعُجْب وراء ظهره، ورأى أن صاحبه أعقل منه، وأحمد في طريقته، وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه، من غير اغترار برأيه، ولا تزكية لنفسه، ولا تكاثر على أخيه أو نظيره، وصاحبه وعشيره، وحمد الله واجب على الجميع، وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته، والتحدث بنعمته.

وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل: "من يلزم النصيحة [1] يلزمه العمل" وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه، بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل؛ فلذلك جعلته آخره، وتممته به، تولانا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبة، بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده؛ فإن ذلك إليه وبيده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[2].

❁❁❁❁❁

(١) في نسخة: "الصحة"، وذكر الجاحظ في البيان والتبيين "٢: ٤٦" أن هذا القول من كلام الأحنف السائر في أيدي الناس.

(٢)صبح الأعشى ١: ٨٥"، وينظر كتاب (جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة المؤلف: أحمد زكي صفوت الناشر/ ج ٢/ ٥٠٨ -٥١٢ المكتبة العلمية بيروت-لبنان).

المبحث الأول

مقدمة الرسالة (منزلة أهل الكتابة).

«أما بعد، حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم، فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافًا..... من النعمة عليكم»(١).

الشرح والتحليل:

بدأ عبد الحميد رسالته إلى الكتاب بمقدمة يدعو فيها للكتاب بأن يحفظهم الله -عز وجل-ويحيطهم بالتوفيق والرشاد، ثم بين منزلة الكتاب في مجتمعهم، فهم من أشرف الناس، وفي أشرف الجهات، فترتيبهم في مجتمعهم بعد الأنبياء والمرسلين والملوك، ثم علل سبب ذلك بكونهم لا تنتظم أمور الخلافة إلا بهم، وبنصحهم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلادهم، فموقعهم من الملوك موقع السمع الذي يسمعون به والبصر الذي يرون به، واللسان الذي ينطقون به، والأيدي التي يبطشون بها.

التحليل البلاغي:

لأول وهلة نرى أن عبد الحميد الكاتب قد خلت مقدمته من التحميد وبدأها بأداة تفصيل وتوكيد: "أما بعد" فهي أداة فصل الخطاب، وذلك لأنها تفصل بين مقدمة الخطبة وموضوعها والرسالة وموضوعها، وقيل «إن خلو هذه الرسالة من التحميد ربما كان قد حذفها الرواة للإيجاز، وقيل إن معظم رسائل عبد الحميد التي وصلت إلينا، والتي اتصفت بالطول خاصة قد خلت من التحميد في مقدمتها»(٢)

---

(١) جمهرة رسائل العرب، ج(١)، ص(٤٥٦).

(٢) عبد الحميد الكاتب / إحسان عباس، ص ١٨٣.

ويبدو أن الكاتب أراد أن يدخل مباشرة لموضوعه، فبدأها بهذه البداية التي تجذب الانتباه، وتشحذ الأذهان لمعرفة ما سيأتي فالنفوس أصبحت متلهفة لمعرفة ما سيقول، لذا كان عبد الحميد موفقًا في بدايته واستهلاله فجاء مطلع الرسالة دالاً على ما بنيت عليه مشعرًا بأهمية الغرض الذي من أجله صيغت.

وقد أشاد البلاغيون بأهمية براعة الاستهلال في تهيئة المتلقي لتأمل الكلام، وتكمن براعة الإبداع في هذه الرسالة في مقدرة الكاتب على الدخول في موضوعه بسلاسة ويسر، وصور بعبارة موجزة خلاصة الموضوع وإشارة البدء إلى قلوب المتلقين فإن «حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح»(١) لأنه ضرب من ضروب الصنعة التي قدمها أمراء البيان، «وينبغي للخطيب إذا ارتجل خطبة، والبليغ إذا افتتح رسالة، أن يكون ابتداء كلامه دالًا على انتهائه، فالابتداء أول ما يقرع السمع، فإن كان عذبًا، حسن التركيب، صحيح المعنى، أقبل السامع على الكلام فوعاه، وإلا أعرض عنه، وإن كان الباقي في غاية الحسن»(٢).

ولعل عبد الحميد الكاتب قد وعى أهمية الاستهلال لذا كان البدء بقوله: "أما بعد" وهي مكونة من "أما" أداة شرط وتفصيل وتوكيد، فعلها

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ج: ١، ص(٧١)، الناشر: دار الجيل- بيروت، ١٩٨١م.

(٢) الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح، محمد الكرمي الحويزي، ج(٣)، ص(٢٤٥)، ١٣٧٥هـ.

محذوف تقديره "مهما يكن من شيء" وجوابها قوله: فليس أحد، و"بعد" ظرف.

ثم جاء بالدعاء في قوله: «حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم»، وهو أسلوب خبري لفظًا إنشائي معنى، والغرض منه الدعاء لهم بحفظ الرحمن وعنايته وتوفيقه لهم، وفي هذا دلالة قاطعة على مدى حب وتقدير عبد الحميد الكاتب لهم، ثم جاء بأسلوب إنشائي آخر وهو النداء «يا أهل صناعة الكتابة» إذ يمثل اللغة في جانبها المتحرك المثير لما فيه من عنصر التأثير والتنبيه، فبدأ بنداء أهل صناعة الكتابة، حيث كان وراء هذا النداء تعظيم، وإظهار الحب والاحترام لشأن الكتابة والكتاب، فهو نداء مفعم بالحب والعظمة، نداء فيه قوة في الانفعال، وقد أراد به التأثير في أهل صناعة الكتابة ومن على شاكلتهم، وإيجاد اليقظة والوعي فيهم، وتحريك وجدانهم وتنبيههم لتلقي ما سيأتي وتنفيذه، فهم أهله والعلم رحم بين أهله، وما بينهم من صداقة في المهنة يدعو إلى التآزر والتآلف، لا إلى التدابر والتقاطع، فالغرض من أسلوب النداء الذي صدر به الرسالة «يا أهل صناعة الكتابة» هو التنبيه للعقل، واللفت للذهن، والتهيئة للنفوس لما يأتي عقب النداء وهو طلب الصمت من المخاطبين وإنصاتهم له بتركيز، وللإشارة إلى أنه يناديهم لأمر خطير ومهم، فالنداء يحقق فاعلية التواصل بين المتكلم والمخاطب من خلال السياق، ويُظهر غرض كل منهما، فيشخص المشهد أمام المتلقي، ليذهب بعقله كل مذهب، فيتصور أن هناك حوارًا فيه حركة وجاذبية بين الطرفين.

فقد ناداهم بـ"يا" وهذا دليل على مدى قربهم منه وارتفاع درجتهم عنده، وعلاقتهم المتميزة التي تربط بينهم، ثم يأتي التصوير في قوله: «أهل صناعة الكتابة حيث صور الكتابة بشيء يصنع وحذف المشبه به، ورمز إليه بلازمه على سبيل الاستعارة المكنية وهذه الاستعارة توحي بأهمية الكتابة، وعلو قيمتها، وتكمن بلاغة الاستعارة في تجسيد المعنى وتقويته وتقريبه للأذهان، كما أظهرت الاستعارة المعاني المعنوية في صورة حسية «فقد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر إليه عيانًا»(١).

لذا نرى الإضافة في قوله "أهل صناعة الكتابة" للتخصيص والتعظيم من شأن الكتاب والكتابة، فهم مختصون بها وأهلها دون غيرهم، كما أن كلمة صناعة قد اختيرت بعناية فائقة لكونها توحي بالإتقان الشديد والمهارة، وبالرغم من افتتاح رسالته بالأسلوب الإنشائي، إلا أنه لم يهمل الأسلوب الخبري، ذلك الأسلوب الذي يحمل في طياته معان أخرى غير مجرد إفادة الخبر، فنجده يبين حال الكتاب مع الناس، فهم يحتلون أشرف الأماكن فيقول: «فإن الله –عز وجل– جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين– ومن بعد الملوك المكرمين أصنافًا...، أبواب أرزاقهم».

فمجيء "إن" في مفتتح الجملة أفاد التأكيد على بيان منزلة أهل الكتابة وتعظيمهم، ثم سلك أسلوبًا آخر وهو الإطناب، بجملة اعتراضية في قوله

(١) المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق د/ أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، ج(٢) ص(٣٥)، الناشر: مكتبة نهضة مصر، الفجالة بدون تاريخ.

(فإن الله -عز وجل-) وقوله: «الأنبياء والمرسلين -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-) فقد أفادت الجملة الأولى -عز وجل- تبجيل المولى تعالى اسمه، إذ الأصل أن يقال: فإن الله جعل الناس، ولما كان لفظ الجلالة يستوجب التبجيل والتعظيم، فقد أتبعه بهذه الجملة، وفي الجملة الثانية أفاد الاعتراض(-صلوات الله وسلامه عليهم-) الدعاء للأنبياء والمرسلين والثناء عليهم، وهذا الإطناب قد أثرى المعنى وأبرزه «فالتعريض يساعد منشئ الكلام على إعلام السامع بما يريد على صورة لا تقتضي لمواجهته بالخطاب وذلك في مواطن معينة، وأوقات مخصوصة ومواضع يعرفها البليغ»[1].

ثم عطف قوله: «فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمروءة والعلم والرواية» بالفاء على ما قبلها، للدلالة على السرعة والتعقيب، وليربط كلامه اللاحق بالسابق، فالفاء تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت "الواو"، غير أنها تجعل ذلك متسقًا بعضه في إثر بعض[2]، وكأن هذه الصفات مجملة لما فصله بعد في جمل عديدة، وكأنه تدرج في تفصيل المعاني فكلما مضى خطوة، تدرج في التفصيل حتى بلغ ذروته قبل النهاية، وهذا الذي أراده الكاتب، أن تكون رسالته من نوع النسيج المحكم، الذي يسلم أوله إلى أخره، ويكون تاليه تفصيلاً وفائدة زائده، على ما قبله مع الارتباط بينهما، وأن يكون الكلام آخذاً حجزه بحجز بعض، لا تفريق فيه.

---

(١) الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية، د/ محمود شاكر القطان، ص(٢٢٥)، مطابع الأهرام، ط/ ١٩٩٣م.

(٢) الكتاب، سيبويه، ج(٤)، ص(٢١٧).

وقد حذف أداة النداء "يا" في قوله معشر الكتاب، إذ التقدير "يا معشر الكتاب" للتعظيم والتنبيه على قربهم الشديد منه، ويرى الزمخشري في حذف حرف النداء معنى التقريب والملاطفة(١)، والإضافة في قوله «أهل الأدب والمروءة والعلم والرواية» دليل على ما يجب أن يتوفر في الكتُّاب من سعة في العلم والأدب، لذا كانت الإضافة لتمييزهم وتخصيصهم بهذه الصفات الحميدة.

ثم بين الدور المهم الذي يقوم به الكتاب في الدولة حيث يقول «بكم تنتظم للخلافة محاسنها، وتستقيم أمورها، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم... لا يستغني الملك عنكم... فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون... وأيديهم التي بها يبطشون».

فقوله: «بكم تنتظم للخلافة محاسنها»، كناية عن استقرار الأمور في الدولة بوجودهم، وهذه الكناية توحي بإحكامهم على الأمر وسيطرتهم التامة على شؤون الدولة والرعية، لذا نراه دومًا يخاطبهم بأسلوب الخطاب التوجيهي عن طريق التفصيل والتوضيح الذي تحققت له شروط نجاحه، فالكاتب يواصل جملة النصائح والتوجيهات التي يقدمها للمخاطبين، وذلك من خلال بيان قدرهم ووضعهم في الدولة، ومنزلتهم التي تلي منزلة الأنبياء والمرسلين، وقد جاء خطابه لهم بفعل المضارعة الدالة على استمرار وديمومة العطاء من الكتاب، وبيان منزلتهم وقدرهم الرفيع «تنتظم – تستقيم – يصلح – تعمل – –يستغني – يوجد – يسمعون – يبصرون – ينطقون –

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د/ محمد محمد أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر/ د. ط، وت، ص(٣١٤).

يبطشون» فالتعبير به لاستحضار الصورة، وهم على مثل هذه الحالة، فالمضارع أصل في استحضار الحدث، وتمثله كما لو كان يجري تحت وسائل إدراكك، فكأن مكانة الكتاب، وأهميتهم في الدولة صارت أمرًا محسوسًا، كل ذلك في مشهد حركي حسي تلوح صورته في الأفق، وما ذلك إلا من أثر صورة المضارع.

ثم نراه يرسم صورة فنية أسهمت في تأدية المعنى المقصود وإيصاله بدقة من خلال الاستعارة المكنية، حيث شبه كتاباتهم في أعمال الخلفاء وحسن سياستهم واهتمامهم بما ينفع العامة، وتوالي كتاباتهم في ذلك باللؤلؤ الذي ينظم به حبات العقد، فتحسن في عين ناظريها، والقرينة ذكر لفظ تنتظم، فالكاتب المجيد يستطيع تأليف القلوب بما يكتب من محاسن الأمراء حين يعرضها في معرض جيد، كما أفادت هذه الجملة القصر، فقد قصر انتظام واستقرار شئون وأمور الخلافة عليهم دون سواهم، وطريق القصر التقديم، كما اتكأ على الجناس في قوله: «لا يستغني الملك عنكم، ولا يوجد كافٍ إلا منكم» حيث إنه جانس بين قوله (عنكم - منكم) فقد اختلفا في حرف العين والميم، ومخرج العين من الحلق، بينما مخرج الميم من الشفة، فبينهما تباعد شديد في المخرج، وكأن هذا التباعد الشديد في المخرج قد صور المسافة الشديدة والبعيدة بين الملوك والرعية.

ثم نراه يكمل تلك اللوحة التعبيرية الرائعة بصورة تشبيهية بديعة حيث يقول «فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون.

حيث شبههم بالسمع والبصر والألسنة والأيدي للملوك وولاة الأمر، وهو تشبيه تمثيلي، أبرز المعنى ووضحه، وبين مكانة الكتاب ومدى احتياج الملوك لهم، فمن دونهم لا يستطيعون تسيير أمورهم، فهو يبين لهم مكانتهم بما يمكن لديهم من قدرة تجعل الغائب حاضراً، والمتوهم مشاهداً، وبما يملكون من وسائل الإقناع والإسماع، وبما يستطيعون من تقبيح الحسن..... وهذا كله بأسلوب مبني على التصوير والقصر فهم ليسوا كأيد حقيقية تبطش ولا أعين حقيقية للخلفاء ولا أذان حقيقية وإنما أراد الكاتب من تصويره هذا الأثر الناتج عن كتاباتهم فيجعلهم للخلفاء كهذه الحواس، وقد ساعد على تأكيد ذلك حسن التقسيم، فقد استوفى الكاتب جميع أقسام الشيء من سمع وبصر ولسان وأيدي، وقد أضفى التقسيم على الكلام جرسًا موسيقيًا بديعًا، بالإضافة للسجع في قوله: (يسمعون – يبصرون – ينطقون – يبطشون) إن هذا السجع يجعل السامع أكثر قبولًا واستعدادًا لما يلقى إليه، كما جانس بين قوله: (أسماعهم – يسمعون) وبين (أبصارهم – يبصرون) وهو جناس اشتقاق أحدث تنغيمًا عذبًا استصغى الأذان واستمال النفوس وجعل القلوب مشدودة لسماع المعاني، «فإن تشابه ألفاظ التجنيس تحدث بالسمع ميلًا إليه، فإن النفس تتشوق إلى سماع اللفظة الواحدة إذا كانت بمعنيين وتتوق إلى استخراج المعنيين المشتمل عليهما ذاك اللفظ، فصار للتجنيس وقع في النفوس وفائدة»(١)

(١) جوهر الكنز لابن الأثير الحلبي، ص(٩١)، ت. د، د/ أحمد زعلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون.

كما نلحظ التناسب التام بين صلاح السلطان وإعمار الأرض، فالأرض لا تعمر إلا بصلاح السلطان، وإعمار الأرض يدل على صلاح السلطان، كما يوجد تناسب بين (أسماعهم -أبصارهم - ألسنتهم - أيديهم) تناسب تام فجميعهم أعضاء الإنسان، وبذلك صار الكلام متناسبًا محكم التأليف وهذا ما يعرف بمراعاة النظير.

وقد أشعر التعبير بالفعل المضارع في الجمل السابقة (يسمعون - يبصرون - ينطقون - يبطشون) على الاستمرارية والدوام، وقد كونت هذه الأفعال سلسلة مترابطة فيما بينها ترابطًا زمنيًا، عملت علي تنظيم سلسلة الأحداث التي تكون منها النص، وذروة البلاغة أن يأتي الفعل معبرًا عن الرابط الزمني من جهة، ومعبرًا عن مناسبته للحدث من جهة أخرى، فهذه العلاقات هي علاقات توافقية توفرها الأفعال وبعض الألفاظ الدالة على الزمن[1] هذه الأفعال تقود جملًا لا يستطيع القاري أن يقف دون تمامها، لأنها كونت مغزى واحدًا، وتم الربط بينها بالواو أحيانًا وبالفاء أخرى، فصارت كاللبنات التي يبنى بعضها فوق بعض فتضامت وتلاصقت حتى صارت شيئًا واحدًا وهذا أعلى درجات الإبداع.

❁❁❁❁❁

(1) See: Halliday 8 nasan: cohesion in English p. 25، 8 crambie، Winifred: process and redation، p18.

المبحث الثاني

الأخلاق والصفات الواجب توافرها في الكتاب

«وليس أحدُ من أهل الصناعات كلها، أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمودة.... فيعد لكل أمر عدته وعتاده، ويهيئ لكل وجهٍ هيئته وعادته»(١).

الشرح والتحليل:

يبين عبد الحميد الكاتب في هذه الفقرة أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الكتاب، وأهم هذه الصفات كما يراها عبد الحميد:

أن يكون متصفًا بالحلم والصبر، والإقدام والعفاف، أن يكون عالمًا بالأحكام، فاهمًا لها قبل أن يصدر حكمه، يضع الأمور في مواضعها، شجاعًا مقدامًا، يتسم بالعدل والإنصاف، والمساواة بين الناس، حافظًا للسر، يأخذ من فنون العلم المختلفة، يقدر الأمور تقديرًا صحيحًا ويضعها في نصابها.

التحليل البلاغي:

بدأ الكاتب جملته بالأسلوب الخبري المنفي «فليس أحدُ من أهل الصناعات كلها» وذلك لتأكيد وترسيخ الأفكار في أذهان الكتاب، فـ«ليس أحدُ» جواب لشرط مقدم، وجيء بـ (أحد) نكرة لإفادة العموم والشمول، وزيادة في التأكيد جاء بقوله: (كلها) وهي توكيد معنوي تفيد العموم والشمول وتؤكد على حاجة الكتاب إلى الخصال المحمودة.

ثم عبر باسم التفضيل (أحوج) ليوحي بشدة الحاجة إلى التخلق بهذه الصفات، وتنزيه الكتاب عن كل عيب ونقص، وقد آثر التعبير بقوله (خلال) دون غيرها كـ (صفات – سمات)، وذلك لأن الخلال تحمل معنى الحسن

(١) جمهرة رسائل العرب، ص(٤٥٦).

والقبح يقال: خلال حسنة وخلال سيئة وقبيحة، كما أنه خص الخلال بكونها خلال خير وذلك لشدة حرصه على إيصال كلامه للسامع على الوجه المطلوب، حيث حدد الخلال بكونها الخير ووصفها بكونها "محمودة" للتأكيد على ضرورة اتصاف الكتاب بها، كأنها تخللت قلبه وطبعه فصارت سجية، كما أن بين قوله: (خلال الخير المحمودة، وخصال الفضل المذكورة المعدودة) ازدواج وإطناب جيء به لتأكيد المعنى بضرورة التحلي بالصفات الحميدة، ولا يخفى ذلك السجع بين قوله: محمودة - مذكورة الذي يعطي جرسًا موسيقيًا تطرب له الأذن.

ثم نراه يلجأ مرة أخرى إلى الأسلوب الإنشائي (النداء) «أيها الكتاب إذا كنت على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم» ولما كان النداء من الأهمية بمكان ناداهم بـ«أيها» يقول الزمخشري: "أي" وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام، كما أن (ذو)، و(الذي) وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل، وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه، ويزيل إبهامه، فلابد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء، فالذي يعمل فيه حرف النداء هو "أي" والاسم التابع له صفته... وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد، وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين: معاضدة حرف النداء بتأكيد معناه، ووقوعها عوضًا مما يستحقه أي من الإضافة[1].

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج(١)، ص(٨٩-٩٠)، أبو القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله والمتوفى: ٥٣٨هـ، دارا لكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

وفي التعبير بـ"إذا" الدالة على تحقق الوقوع ودخولها على الفعل الماضي الدال على وقوع الشيء والجزم به، فيه دلالة قاطعة على ضرورة التزام الكتاب بتلك الصفات التي ستأتي بعد في حديثه، لذا أشار إليها بقوله: «هذا الكتاب» بالتعريف وذلك لتميزه أكمل تميز في نفس السامعين.

ثم أكد كلامه مرة أخرى بـ "إن" في قوله «فإن الكاتب يحتاج من نفسه، ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره»

حيث صدر الجملة بالفاء الدالة على السرعة والتعقيب، فالفاء تجعل أول ما دخلت عليه موصولًا بآخر ما عطفت عليه، وكأنها عروة يمسك بها الحدث بالحدث، والفعل بالفعل، والقول بالقول، والحركة بالحركة، وتنتج لك من كل هذه الأحداث والأقوال والأفعال والانفعالات صورة واحدة وفعلًا واحدًا قد كونته كل هذه المكونات[1] وربما كان هذا سبب كثرة الفاءات في النص، وقد ساعد على تأكيد كلامه أيضًا بطريق آخر من طرق التأكيد في قوله "يحتاج من نفسه أن يكون" حيث قدم الجار والمجرور على المفعول به لغرض العناية والاهتمام بالمتقدم، وقد قدم الجار والمجرور لأنه الأوثق بغرض الكلام وسياقه.

ثم أتبعه بأسلوب قصر بطريق التقديم أيضًا في قوله: (يحتاج منه صاحبه) حيث قدم الجار والمجرور على الفاعل والغرض منه التخصيص والتوكيد على التحلي بتلك الصفات، ولا يخفى الطباق الموجود بين قوله "يحتاج من نفسه، يحتاج منه صاحبه" وهو طباق يحقق المعنى ويؤكده، وليكون

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري للدكتور محمد محمد أبو موسى، الناشر/ مكتبة وهبة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص(٥٤).

الكلام أكثر تأثيرا وتأكيدًا في نفوس المتلقين أخذ الكاتب يعدد الصفات الواجب توافرها في الكتاب، من خلال لوحة فنية رسم فيها تلك الصفات التي يجب أن يتصفوا بها: «أن يكون حليمًا في موضع الحلم، فهيمًا في موضع الحكم، مقدامًا في موضع الإقدام، محجامًا في موضع الاحجام، مؤثرًا للعفـــاف والعدل، والإنصاف... هيئته وعادته» فقد جعل الكاتب كالمحارب في المعركة، فهو محارب بالكلمة، يعرف متى يتكلم ومتى يصمت على طريق الاستعارة المكنية.

هنا بدأ الكاتب بتفصيل ما أجمله من صفات حيث بدأها بكونه "حليمًا في موضع الحلم" أي يقدر الأمور بقدرها ويحسن التصرف في المواقف، فهو كناية عن العفو والتسامح، وأن يكون "فهيمًا في موضع الحكم" كناية عن الفطنة والذكاء، وهكذا تتابعت الكنايات على لسان الكاتب، والجملة كلها كناية عن حسن التصرف ولهذه الكناية مزية كبرى حيث تجعل المعنى ألطف وأفخم.

وقد استمر عبد الحميد الكاتب في إضفاء نغمة موسيقية أخرى على نص الرسالة من خلال السجع المرصع حيث نراه قد ناسب بين الفواصل مناسبة تامة حيث يقول:

- حليما في موضع الحلم
- فهيماً في موضع الحكم
- مقداماً في موضع الإقدام
- محجماً في موضع الاحجام

فأحدث هذا السجع نغمًا موسيقيًا يطرب الاذن، وقد أتى بهذه الصفات جملاً على تقدير محذوف (أن يكون) اكتفاء بذكرها في الجملة الأولى أي:

أن يكون حليمًا في موضع الحلم، أن يكون فهيمًا في موضع الحكم...وهكذا، أو أن يكون مجيء هذه الصفات مفردة لكونها خبراً متعدداً للفعل (يكون) صفة بعد صفة من غير وصل، ليعلم الكاتب أن يكون جامعًا لهذه الصفات، وسلك في الحرص على إثبات هذه الصفات وضرورة وجودها في الكاتب مسلك الاستعارة بالكناية، وأن يعطى لكل مسلك ما يناسبه، فعبر بالصفات المتضادة في الشخصية المكتملة للكاتب، بأنه يجمع بينها في آن واحد، مقيدة كل صفة في موضعها، فيلاحظ الطباق بين الإقدام والإحجام، للتعبير عن اكتمال شخصية الكاتب في الجمع بين الأضداد، كل في موضعه ووقته ومناسبته، ومن الموسيقى التي أسهمت -أيضًا- في إظهار القيم الصوتية والتناسق الإيقاعي الجناس في قوله: "حليمًا – حلم" فقد جانس بين (حليمًا، حلم) وهو جناس ناقص، كما أنه عبر عن هذه الصفة بصيغة المبالغة (فعيل) للدلالة على ضرورة اتصافه بتلك الصفة وثبوته واستمراره عليها، وأن يكون واسع الصدر يزن الأمور بقدرها، كما جانس في قوله: «فهيمًا في موضع الحكم» فجاء الجناس (الحلم – الحكم) وقد تعاون الجناس والسجع في أداء المعنى على أساس من التوازن في الكلام

ونلحظ استخدامه لقوله "فهيمًا" على زنة فعيل للدلالة على توقد ذهنه وذكائه، كما عبر بقوله " مقدامًا" الدالة على الشجاعة والقوة بصيغة المبالغة، للدلالة على الثبوت والاستمرار وضرورة التحلي بهذه الصفات، كما عبر عن الإمساك عن الكلام أو إيجاز العبارة باسم الفاعل "محجمًا"، وذلك لأنها صفة تطلب عند الضرورة فقط لا على الدوام حين يكون السكوت أبلغ من الكلام.

وقد عرض هذا عن طريق المقابلة التي تؤكد كلامه في قوله «مقدامًا في موضع الإقدام»، في مقابل «محجمًا في موضع الإحجام» فإقدامه يكون حين يرى الكلام ضرورة، والعبارة مؤلفة للقلوب ومسكنة للسيوف في أغمادها، فينمق العبارة ويختار اللفظة، ويطيل حين يرى الإطناب ضرورة، بينما إحجامه يكون في سكونه وسكوته عن الكلام حين يرى الصمت أبلغ من الكلام، أو إيجاز في العبارة.

فقد وضحت تلك المقابلة وميزت بين الحالتين، وبينت بعد ما بينهما، وهذا أدعى للتأثر لأن «ذكر الشيء ومقابله يوضح خصائص كل منهما فتحدد المعاني المرادة في الذهن تحديدًا قويًا»(١).

فقد بينت المقابلة موقفين متناقضين أتم التناقض، موقفًا تجتمع فيه جوانب القوة والشجاعة، والآخر تجتمع فيه جوانب الحزم في الأمور، وإعطاء لكل موقف حجمه وكيفية التعامل معه بإحكام بما يناسبه من أنواع القول وفنونه، وبلاغة المقابلة هنا تبدو في دلالتها على اكتمال شخصية الكاتب بالجمع بين الأضداد، فهي كناية عن ذلك، فهي تريك المتباعد متقاربًا والمتنافر من الصفات متآلفًا.

فقد شبه ذلك بإقدام الفارس المحارب وإحجامه على جواده، وحذف المشبه به ورمز إليه بلازمه على سبيل الاستعارة بالكناية، مع ما في الأسلوب من جمال للجمع بين الأضداد من الصفات في شخصية واحدة تتعامل مع أحوال مختلفة كل بما يناسبه من الصفة.

---

(١) الصبغ البديعي، د/ أحمد موسى، ص(٤٧١)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م.

وقد آثر استعمال المصدر في قوله «مؤثرًا للعفاف والعدل والإنصاف» للدلالة على الثبوت والدوام على هذه الصفات وتأكيد التحلي بها، وقد عطف بعضها على بعض، وفي تعدد العطف دلالة على تعدد الصفات الواجب توافرها في الكاتب، واكتمال كل صفة منها وبلوغها في شخص الكاتب حداً يتميز به على غيره، كل صفة على حدة، أي أنه يمدح من أجل العفاف الكامل فيه، ومن أجل العدل الكامل فيه ومن أجل الإنصاف الكامل فيه، فكل صفة منها كافية لتميزه ومدحه وإن لم توجد الأخرى معها.

كما أكد كلامه من خلال الازدواج وما يضفيه على الكلام من جرسٍ بديع كما في قوله: "كتومًا للأسرار –وفيًا عند الشدائد" وقد عبر بقوله: "كتومًا" للمبالغة على وفائه وشدة أمانته وحفظه للأسرار، وقد جاءت "الأسرار" جمعًا للدلالة على الكثرة والعموم.

وبالرغم من استخدامه لهذا الزخم الهائل من البديع في هذه الرسالة، إلا أننا نجده قد اتكأ على توظيف المجاز الذي أبقى الرسالة على حضورها وتأثيرها، وذلك من خلال الكناية في قوله: «عالمًا بما يأتي من النوازل، يضع الأمور في مواضعها، والطوارق أماكنها، قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه، فإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به».

فقوله: "عالمًا بما يأتي من النوازل" كناية عن بعد نظر الكاتب وفراسته في اكتشاف الأمور، ثم أتبعها بكناية أخرى في قوله "يضع الأمور في مواضعها والطوارق أماكنها" فهي كناية عن التعقل وحسن التدبير والحكمة في تصريف الأمور وتيسيرها.

ولا يخفى ذلك السجع الذي أقامه في تلك العبارات القصيرة المتوازنة "مواضعها -أماكنها" فجاءت جملة ذات إيقاع سريع متواصل يأخذ سمعك بوقعه للكلمات ضمن نسق متوازن، وأسلوب سلس، منسجمً مع المعنى، يوضح ويحقق المعنى والهدف.

ولا زال عبد الحميد يحاول أن يجذب انتباه الكتُّاب لما يلقيه حتى يأخذه على محمل الجد، ويقوم بتحقيقه وتنفيذه، وذلك من خلال التأكيد في قوله: " قد نظر في كل من فنون العلم فأحكمه " حيث أكد الجملة بـ"قد" وهي حرف تحقيق وتوكيد، تلاها الفعل الماضي "نظر" الذي يشعر بتمكين الأحداث ووقوعها، وذلك للتأكيد على ضرورة كثرة الاطلاع للكاتب وسعة ثقافته، فلا يقتصر على فن دون فن لذا نجده يقول " في كل فن من فنون العلم " وذلك لإفادة العموم والشمول، والجملة جميعها كناية عن غزارة العلم وسعة الاطلاع.

وبلاغة الكناية تكمن في تحسين المعنى، حيث تضفي الكناية عليه جمالًا فنيًا رائعًا، يخرج ما في النفس من أحاسيس ومشاعر بطريقة فنية فالكناية «من أروع الفنون البيانية وأرقى الطرق البلاغية التي يعبر بها المتكلم عن المعنى الذي يريده، تعبيرًا صادقًا موجزًا، يخفي وراء ظلاله أهدافًا ولطائف يريدها ويقصدها"[1].

كما أن التعبير بالنظر في العلم عن الإفادة والاستفادة به في قوله: (قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه) مجاز مرسل، علاقته السببية، فقد عبر

(١) من الأسرار البيانية في الكناية القرآنية، الدكتور/ حمزة الدمرداش زغلول، ص(٦) الناشر، المطبعة الإسلامية الحديثة، ط الأولى، ١٩٨٨م.

بالسبب وأراد المسبب، حيث عبر بالنظر وأراد الاستفادة منه، لأنه إذا نظر وعي وإذا وعي حفظ، وإذا حفظ أفاد واستفاد به في المواقف العارضة.

وقد عبر بقوله: فأحكمه "لأنها توحي بالإتقان والمهارة، وأخذ الأمور على محمل الجد، فلابد للكاتب من أن يتقن كافة العلوم على اختلاف أنواعها"، فإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به، حيث شرط على الكاتب المجيد أن يكون ماهرًا حاذقًا لمختلف العلوم، وإلا فعليه التعلم بما يكفيه ويخدم مهنته وصنعته، لذا أتى بـ"إن" التي توحي بمعنى الشك، وكأنه يشير من طرف خفي أنه يجب عليه الاستماع لهذه النصائح حتى يكون كاتبًا ماهرًا، ومن منهم لا يريد أن يكون مجيدًا؟.

كما عبر عن القدر الذي ينبغي أن يكون عليه الكاتب من العلم، فعرض ذلك في معرض المقابلة حتى يتضح ذلك القدر ويستبين مداه لدى السامعين، فجاء الطباق بين (أحكمه) و(لم يحكمه) كاشفًا عن هذا القدر من بلوغ مرتبة في العلم يكون العالم بها (حكيمًا)، حين يقارب حد الكمال في العلم، فإن لم يصل إلى أن يكون (حكيماَ) فليكن (عالمًا) متجاوزاً حد التوسط في العلم بما يمكنه من القيام بمهمته وحسن الفصل في الأمور، وهكذا أدى الطباق دوره في الكشف عن هذا القدر في العلم بحسن الصياغة وصحة المعنى.

ولم يكتف بذلك بل وظف المجاز من خلال الاستعارة التي اعتمد عليها في أداء معناه فقوله: "أخذ منه بمقدار ما يكتفي به" استعارة حيث شبه فنون العلم بكنوز يؤخذ منها، على سبيل الاستعارة المكنية، وهذه الاستعارة التي

اتكأ عليها الكاتب قد حققت الاختصار والإيجاز، إذ أعطت المعنى الكثير باللفظ اليسير.

وقوله "يكتفي به" إيجاز بحذف الفاعل وذلك لفهمه من السياق، وللدلالة على العموم والشمول، وكأنه لخص الأمر بهذه الجملة المركزة التي أغنت عن صفحات كثيرة مع ما في هذا الأسلوب من التشويق، للسامع حتى ينتظر ويترقب إلى أن تأتي ما بعدها، فيكون لها وقعٌ في النفس ويكون تأثيرها أشد.

ثم ينقلنا الكاتب إلى كناية رائعة في قوله: "يعرف بغريزة عقله" فهي كناية عن الذكاء والفطنة، وأردفها بكناية أخرى في قوله: "وفضل تجربته" فهي كناية عن خبرته الواسعة، ووصل بالواو فهو عقل واعٍ ومجرب لتجارب عديدة، يحفظ ما مر عليه من التجارب من الماضي للحاضر في معالجة الأمور، فلا قيمة لذكي عاقل لم يعش تجارب غيره، ولم يطلع أو يطالع ويقرأ عن تجارب الآخرين، ولا قيمة لتجارب تمر بمأفون ضعيف العقل لا يعيها، ولا يستحضرها عندما يعرض له أمثالها، فالكاتب ينبغي أن يكون جامعًا بين الأمرين: غريزة العقل، ووعي التجارب وحسن الاستفادة منها، لذا آثر العطف بالواو هنا، هكذا نجد الكاتب محاولًا بشتى وسائل الخطاب المتعددة، ووسائل الإقناع والتأثير للتأثير في مخاطبه تارة من خلال الاستعارة، وتارة من خلال الكناية وأخرى من خلال أساليب التأكيد المتعددة، وما ذلك إلا محاولة منه لإقناعهم والتأثير فيهم حتى يمتثلوا لأوامره، ويعملوا على تنفيذها.

ثم إنه أراد أن يوضح تلك الكنوز فجاء بها مترابطة مع بعضها البعض، لذا كان من الضروري استعمال الوصل بين الجمل لقصد إشراك كل جملة بسابقتها في الحكم، والإشارة إلى كنوز المعرفة، فهو بذلك قد وضح لهم الأمر، وصوره عن طريق نتاج أدبي محاولًا رسم لوحة فنية يوضح فيها أبعاد تلك الصفات التي يجب الاتصاف بها.

وقد جانس في قوله: "يعرف بغريزة عقله... ما يرد عليه قبل وروده، وعاقبة ما يصنعه قبل صدوره" بين (يرد، وروده) و (يصدر – وصدوره)، وهو جناس اشتقاق، كما رشح الجناس هنا بلون بديعي آخر هو الطباق زاد من حسن النظم وفخامة المعنى ففي قوله: "عاقبة ما يصدر – قبل صدوره" طباق حقق المعنى وأكده.

فالتقي الجناس والطباق فتضاعف الجمال التعبيري هنا حين جمع بين المعاني المتضادة والألفاظ المتجانسة، وهذا يحدث ميلًا وإصغاء إلى المعنى، لأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوق إليه(١).

❁❁❁❁❁

(١) شرح عقود الجمان للسيوطي، ص(١٤٣)، دار إحياء الكتب العربية، بدون.

المبحث الثالث

عدة الكتاب وعتادهم

يقول عبد الحميد: «فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الأدب.... والنبل من سلفكم»(١).

المعنى والتحليل:

أخذ عبد الحميد الكاتب يبين الوسائل التي تعين الكتاب على النهوض لمهمتهم منها:

- إتقان أنواع العلوم المختلفة أو الإلمام بقدر كاف منها.
- استخدام العقل والأدب والتجربة في استكشاف عواقب الأمور لمواجهة كل أمر بما يناسبه.
- التفقه في الدين والبدء بكتاب الله –عز وجل–والفرائض ومعرفة العربية.
- رواية الأشعار ومعرفة غريبها ومعانيها، معرفة حروب العرب والعجم وأخبارهم وتاريخهم، تجويد الخط.
- كما وضح النقائص التي يجب أن يترفع عنها الكتاب منها:
- الخسة، الوشايات، الوقيعة بين الناس، ارتكاب أفعال الجهال،
- الكبر والصلف والعظمة.
- ثم أوصاهم بعدة وصايا منها:

☒ التحاب في الله –عز وجل– في صناعتكم، وأخذ العدل والنبل من السلف الصالح.

التحليل البلاغي:

بدأ الكاتب خطابه بجملة مدوية لها صدى واسع لدى المخاطبين من خلال الأسلوب الإنشائي الذي أدى دوره في الإقناع والإمتاع، فكان له طاقة تأثيرية عالية عكست مشاعر ونفسية ذلك الكاتب المهتم بأهل صنعته، فمرة

(١) جمهرة رسائل العرب، ص(٤٥٧).

نجده يقول وينادي عليهم "فتنافسوا يا معشر الكتاب"، ومرات يأمرهم بقوله: «ابدأوا بعلم كتاب الله –أجيدوا الخط– أرووا الأشعار – اعرفوا غريبها ومعانيها – ارغبوا بأنفسكم عن المطامع نزهوا صناعتكم إربأوا بأنفسكم عن السعاية – اعطفوا وواسوه – استظهروا بفضل تجربته... ليكن الرجل منكم على من اصطنعه... ليحذر السقطة والزلة – ليراقب الله –عز وجل– وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقًا – ليكن بالعدل حاكمًا... »، وتارة ينهي الكتاب فيقول: «لا تضيعوا النظر في الحساب، فإنه قوام كتاب الخراج، فإن عرضت في الشغل محمده، فلا يضفيها إلا إلى صاحبه،.... ».

فإكثار الكاتب من هذه الأفعال وتكرارها على هذا النحو دليل قاطع على حرصه الشديد على فئة أهل صنعته، وذلك بتقديم النصح والإرشاد لهم، واستخدامه لهذه الأفعال بعينها دون غيرها دليل على دقة اختياراته، فاستخدامه للأمر بهذا الشكل في خطابه هو وسيلة حجاجية الغرض منه إقناع الكتاب، وحملهم على الإذعان لنصائحه وتوجيهاته التي تنفعهم في حياتهم، نظرًا لخطورة مهمتهم وقوة تأثيرها في الحياة، فالملاحظ في هذه الرسالة أنه لم يعالج قضايا، بل قدم نصائح وإرشادات لكل الكتاب، فقوله "فتنافسوا" فعل أمر، وهو فعل توجيهي صادر من عبد الحميد الكاتب مخاطبًا فئة الكتاب، حيث يأمرهم بأن يتنافسوا في جميع صنوف الآداب، وألا يكتفوا بصنف واحد، بل عليهم أن يتسلحوا بجميع الأدارب، لما لها من دور في

صقل موهبة الكتابة لديهم، فالتنافس الحقيقي والشريف بين الكتاب هو الذي يسهم بشكل كبير في خلق جيل من الكتاب الأكفاء(١).

وبجانب التوجيه بالأمر وجه عبد الحميد الكاتب أيضًا بالنداء، وهذا ما يسمى بـ"التوجيه المركب، وهذا الصنف يكون عندما يجمع المتكلم بين أكثر من أسلوب للتوجيه، فقد يكونان أسلوبين متضادين في الخطاب الواحد، نحو استعمال أسلوب الأمر، وأسلوب النهي"(٢).

والناظر في رسالة عبد الحميد يجد أن النداء بنية مهيمنة في هذه الرسالة، حيث ظهر بوضوح مدى حرص الكاتب للتواصل مع الكتاب، ومحاولة لجذب الانتباه، وإثارة الاهتمام بمضمون الرسالة، وفي هذا كله دليل على حبه وتقديره لهم، وإذا كان المخاطب عنصرًا من عناصر الحضور في المسرح اللغوي، فإن طلب الإقبال إليه يتعارض والمقام، لذلك يتم خرق قاعدة العلاقة بين المقام والمقال، وعندئذ يدرك المخاطب أن المتكلم لا يقصد توجيه الإقبال إليه، فقوله "فتنافسوا يا معشر الكتاب" تركيب النداء "يا معشر الكتاب" لا يمكن تحليله على أنه يتضمن نداء الكتاب، وإنما يقتضي تحليله بالاعتماد على آلية الاستلزام الحواري التي تجعل منه تركيبًا منجزًا في

(١) الخطاب التوجيهي في رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب مقاربة في ضوء اللسانيات التداولية، د/ عبد العزيز صابر عبد العزيز، ص(١١٤)، العدد الثاني والعشرين يناير ٢٠٢٠م.

(٢) استراتيجيات الخطاب، د/ عبد الهادي ظافر الشهري، ص(٣٦٣).

مقام محدد "الوصية" تخرج بمقتضاه إلى النصح والإرشاد، وذلك بناء على خرق قاعدة العلاقة بين المقام والمقال(١).

كما أن اختياره للفعل "تنافسوا" توحي برغبته الشديدة على إشعال الرغبة في نفوسهم حتى ينهلوا من معين العلم المختلفة، ويحدث بينهم مناظرات يتزود كل منهم، لينال قصب السبق، مما ينعكس على مهنتهم فيساعدوا على الارتقاء بالكتابة وعلو مكانتها.

ثم تلا التنافس بفعل يبين لهم كيفية التنافس من خلال التفقه حيث يقول: "تفقهوا" كما أنه حدد لهم التفقه بأمور الدين أولًا ثم التفقه بالعربية، واختيارها دون غيرها؛ لأن التفقه يحتاج إلى التمعن والتبصر، فالكاتب يواصل نصائحه التي يوجهها للكتاب، فبعد أن أمرهم بالتنافس في الإلمام بصنوف الآداب، هنا يأمرهم بأن يتفقهوا في الدين، فمن جملة مهارات الكاتب أنه لابد أن يكون متفقهًا في أمور دينة، حتى لا يضل ولا يُضل، وهذا التوجيه إن دل على شيء، فإنما يدل على المكانة السامية التي يتمتع بها الكاتب في مجتمعه، فبه تستقيم الأمور.

ثم حدد لهم طريق التعلم والتفقه ووضع لهم البداية "ابدأوا" وهو فعل توجيهي يأمرهم أن يتعلموا كتاب الله -عز وجل- فهو الكتاب الجامع الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقد ذكرها، فبتعلم كتاب الله يكون الكاتب قد جمع بين أمور الدين والدنيا معًا، ثم بعد ذلك يطلب منهم أن يتعلموا العربية...

(١) الخطاب التوجيهي في رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب، ص(١٣٢-١٣٣).

ومن هنا يظهر بوضوح مدى الدور المهم الذي يؤديه الخطاب التوجيهي في تحقيق غاية وهدف الكتاب، إذ أن المرسل حين إنشائه لخطابه التوجيهي، يركز أيما تركيز على تبليغ قصده، وتحقيق هدفه من الخطاب بالدرجة الأولى، فالخطاب التوجيهي يعد "ضغطًا وتدخلًا ولو بدرجات متفاوتة على المرسل إليه(١).

ثم أمرهم بإجادة الخط "أجيدوا الخط" وعلل ذلك لكونه حلية كتبهم التي يكتبونها، كأنه يريد أن ينبههم إلى إظهار تلك العدة التي تسلحوا بها من خلال مهارات عدة وضعها لهم من التفقه في الدين، وتعلم كتاب الله والفرائض، وتعلم العربية في صورة بديعة، ولا يتأتى ذلك إلا بإجادة الخط، وقد عطف الأفعال السابقة بعضها على بعض بالواو، ثم العطف بـ"ثم" وبدأ المنافسة بالفاء، فقد بدأ عبد الحميد خطابه التوجيهي بـ"الفاء" في قوله "فتنافسوا" ثم الواو في "وتفقهوا - وابدأوا" ثم عطف بـ"ثم" في "ثم أجيدوا"، ويبدو أن استعمال حرف العطف "ثم" هنا وتخصيصه دون غيره له دلالة، وهو أن الكاتب قد أشار أولًا إلى مجموعة من المؤهلات الأساسية التي يجب أن يتحلى بها الكتاب وهي:

☒ أن يتحلى بخلق الكتاب أولًا، أن يتسلح بما يعينه على أداء رسالته من ألوان الثقافة الإسلامية المتمثلة في كتاب الله وفرائضه واللغة العربية، وبعد إلمامهم بهذه المؤهلات الرئيسة، أمرهم بعد ذلك بأن يجيدوا الحظ، وذلك باعتباره حلية من حلى الكتاب.

---

(١) بتصرف من الخطاب التوجيهي في رسالة عبد الحميد الكاتب، ص(١١٥)، استراتيجيات الخطاب ص(٣٢٣).

وهنا تظهر براعة ودقة عبد الحميد الكتاب في اختياره لحرف العطف "ثم" مع الخط الدال على الترتيب مع التراخي، إشارة منه إلى أهمية المقومات الأساسية للكتاب، ثم بعد ذلك تأتي، إجادة الخط، فعلى الرغم من أهمية الخط في الكتابة، إلا أنه لا يعد مقومًا رئيسًا من مقومات الكتابة كما الحال في المؤهلات الرئيسة(١).

يقول الإمام عبد القاهر: «واعلم أنه إنما يعرض الإشكال في "الواو" دون غيرها من حروف العطف، وذلك لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني، مثل أن "الفاء" توجب الترتيب من غير تراخ، و"ثم" توجيه مع تراخ»(٢).

ثم نصحهم بمهارة أخرى تعمل على صقل موهبة الكاتب وتجعله ملمًا بفنون عديدة حيث يقول: "وأرووا الاشعار" ثم طلب منهم "اعرفوا غريبها" طالبهم بالمعرفة، وهو فعل يدل على ضرورة الاطلاع والتنقيب، وبعد أن أمرهم بالرواية والمعرفة دعم ذلك بالحجة لإقناعهم "فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم"، لأن قيام الكتاب بذلك يساعدهم على إثراء رصيدهم اللغوي والمعرفي.

ثم طالبهم بعدة أمور وشدد عليهم الالتزام بها حيث يقول: "ارغبوا بأنفسكم عن المطامع" فذلك يتنافى مع مهنة الكتاب، وعلل ذلك بأنها (مذلة للرقاب ومفسدة للكتاب)، ثم طالبهم بقوله: "نزهوا صناعتكم عن الدناءات، وأربأوا بأنفسكم عن السعاية، فقوله: "نزهوا" توحي بالتباعد عن كل قبيح، وقوله: "أربأوا" يوحي بالدفع والمباعدة عن كل أمر مشين، لأن

(١) الخطاب التوجيهي في رسالة عبد الحميد للكتاب، ص(١١٦).

(٢) دلائل الإعجاز، ص(٢٢٤).

هذا يتنافى مع صنعة الكتابة فالغرض الحجاجي من كل هذه الأوامر، هو تحذير الكتاب من الاتصاف بقبيح الأخلاق، فدعاهم إلى الابتعاد عن المطامع والوشاية والنميمة، لأنها مفسدة لهم، ومنقصة لقدرهم، وهي الحجة التي وضعت في قوله: "فإنها مذلة للرقاب ومفسدة للكتاب"، وهكذا نجد عبد الحميد الكاتب يأتي بالفعل اللغوي، ثم يتبعه دائمًا بحجة تؤيد الفعل التأثيري الناتج عن القول وهو الإقناع، والحمل على الإذعان، وقد حاول الكاتب بشتى الطرق، عرض فكرته بطريقة توضيحية مفصلة، حتى يتم التأثير فيهم، ثم نراه ينتقل لصيغة أخرى وهي النهي محاولًا من خلالها التأكيد على فكرته وتوجيه المخاطبين لما يرشدهم إليه وما فيه صالحهم حيث يقول: "لا تضيعوا النظر في الحساب" حيث ينصحهم بعدم ترك العلم بالحساب، لأن ترك العلم بالحساب يكون كالشيء المفقود الذي يحتاج إليه عند ندرة الوجود فيعز على من فقده، وقد استخدم صيغة النهي الرئيسة المكونة من "لا الناهية والفعل المضارع" في إيصال فكرته على سبيل النصح والإرشاد.

ثم عاد مرة أخرى للأمر في قوله: تحابوا في الله -عز وجل-في صناعتكم وتواصوا عليها...، وفي هذا دلالة على شدة حرصه على تعليمهم فنون الكتابة والعدة التي يتسلحون بها، وفي قوله: (صناعتكم) في هذا الخطاب التوجيهي إيحاء بالإتقان والدقة، ويأتي التعريف بضمير الخطاب (هذا) لأن المقام مقام خطاب وإيضاح فكرة وإثبات رؤية، فهو يحاول جاهدًا تفصيل الأمر لأهل الكتابة حتى تكون الأمور جميعها واضحة أمامهم.

كما اتكأ على الإطناب في قوله: "أربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة" عن طريق الترادف للتوكيد، وفيه تحذير من هذه الصفات، كما نلحظ الإطناب في قوله: "أحاديثها –سيرها" وقد ساعد هذا الإطناب على تأدية المعنى المراد.

كما قام الطباق بالدور المطلوب منه في تأكيد الخطاب، فقد طابق بين قوله (العرب –العجم) وقد جمع بينهما للعموم والشمول.

ولم يكتف الكاتب بهذه المؤكدات المختلفة، التي يوجهها للمخاطبين بخطابات عديدة عن طريق الأسلوب الخبري تارة، وعن طريق الأسلوب الإنشائي تارة أخرى، فنراه يأتي بالتصوير في قوله: "فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم" حيث شبه الهمم بأشخاص تسمو وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية واختيار الفعل "تسمو" دون غيره للدلالة على التطلع والطموح، والاستمرار في الترقي مكانةٍ بعد مكانة ومنصباً بعد منصب، بالتحلي بالصفات والاستزادة منها صفة بعد صفة دون الوقوف عند حد.

ويأتي القصر ليتآزر مع الاستعارة في إيصال المعنى وتثبيته في قوله: "ما تسمو إليه هممكم" طريقه التقديم، حيث قدم الجار والمجرور على الفاعل، وأفاد هذا القصر تأكيد المعنى المراد، وهو ضرورة التثقف، والتعرف على مختلف الفنون والعلوم، والتطلع لمعرفة كل هذه الأمور، كما أفادت جملة القصر الإيجاز، فقد اختصرت المعنى والتقدير "ما تسموا هممكم إليه من كذا وكذا....

كما نجده يعبر باسم الإشارة: "ذلك معين" لإفادة التعظيم ثم يأتي التصوير في قوله "معين لكم" حيث شبه العلم والمعرفة بإنسان يعين ويساعد على سبيل الاستعارة المكنية، وقد ساعد التصوير على تجسيد المعنى، وساهم في إيصاله إلى القارئ دون تعب أو عناء، كما أظهر الأمور المعنوية في صورة حسية «فقد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطاب هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حيث يكاد ينظر إليه عيانًا»(١).

وتعد الاستعارة هنا مركز الحجاج والإقناع وأهم آلياته البلاغية نظرًا لما تحققه من نتائج إيجابية في تقريب المعنى إلى ذهن القارئ وهذا ما عبر عنه طه عبد الرحمن حيث يقول: «العلاقة الاستعارية هي أول ضروب المجاز على ماهية الحجاج»(٢).

فعبد الحميد قد استخدم الاستعارة لهدف إقناعي وهو أهمية طلب العلم، والاستزادة منه قدر المستطاع لأنه معين ومساعد، فشبهه بالإنسان لتقريب هذا المعنى في الأذهان.

كما أن في قوله "لكم" إشعار بالاختصاص، وكأنه يذكرهم بأهميتهم عنده وحبه لهم، فكان الواجب عليهم أن يسمعوا لكلامه وأن يحافظوا عليه،

(١) المثل السائر لابن الاثير، تحقيق، د/ أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، ج(٢)، ص(٤٥)، الناشر، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، بدون تاريخ.

(٢) التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين غفوس، محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط٢٠٠٣م، ص(٢٣٣).

كأنه بهذه الطريقة يسترق قلوبهم وسمعهم، فقد أراد أن يسمعوه بقلوبهم قبل آذانهم.

ثم اتكأ مرة أخرى على جملة القصر في قوله "ما فيه أهل الجهالات" طريقة التقديم حيث قدم شبه الجملة "الخبر على المبتدأ وذلك لإفادة التخصيص والتوكيد.

وأثر التعبير بحرف الوعاء "في" في قوله "فيه" بدلًا من "غيره" ليبين أن انغماسهم في جهالتهم وحمقهم، ما جعلهم أهلًا له، وقد تمكن منهم تمكن الظرف من المظروف.

ثم استمر عبد الحميد في إضفاء نغمة موسيقية أخرى على الرسالة حيث نسمع قوة الجرس الموسيقي من خلال حسن التقسيم في قوله: "فتنافسوا يا معشر الكتاب... هممكم" حيث نلحظ أنه جمع بين هذه المفردات في قوله: "فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب" ثم جاء بالتفصيل وما لكل واحدة من فائدة للكتاب، ثم عاد وجمعها في حكم واحد وهو قوله: "فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم".

ثم حذرهم من الكبر والصلف والعظمة باستخدام أداة التحذير "إياكم" الدالة على التحذير وضرورة بعدهم عن هذه النقائص التي لا ينبغي أن يتصف بها جماعة الكتاب.

كما نلحظ في قوله: «إياكم والكبر والصلف والعظمة، فإنها عداوة مجتلبة من غير إحنة» تناسب بين هذه الصفات يذّكر بعضها ببعض فكلها من وادي واحد ونتيجتها واحدة "عداوة مجتلبة من غير إحنة" وهو ما يعرف بمراعاة النظير.

وقد عطف الصفات بعضها على بعض للتعدد والتنوع، كما أنه عطف جملة "فإنها عداوة... " على ما قبلها بالفاء دون غيرها، للدلالة على السرعة في بيان سبب التحذير، والبعد عن تلك النقائص المشينة.

كما نجده اتكأ على الجناس في قوله "اربأوا بأنفسكم عن المطامع سينها ودينها" فالجناس بين "سينها - دينها" حيث اختلفوا في مخرج حرفين (السين - الدال) وهما من مخرج واحد، ليبين أن المطامع عظيمها وحقيرها، كبيرها وصغيرها، وإن اختلفت في الأحجام والأشكال فقد اتحدت النتيجة والغاية في إذلال الرقاب، وإفساد الكتاب، وذلك يماثل اختلافها في حرف في ألفاظها الدالة عليها، مع اتحادها في أكثر الحروف، وهو ما دفع الكاتب لإيثار التعبير عنها بالجناس لينبه إلى هذا المعنى الذي سبق ذكره، ويشاكل اللفظ المعنى.

هكذا نجد الأساليب المختلفة التي سلكها الكاتب في رسالته، حتى يلبي ذلك الزخم الهائل من الأحاسيس والمشاعر التي يكنها عبد الحميد الكاتب للكتابة والكتاب وحرصه الشديد عليه.

المبحث الرابع

تقوى الله ومراقبته في التعامل والمحاورة مع الناس

يقول عبد الحميد الكاتب:

«وإن نبا الزمان برجل منكم.... وتصيروا منه إلى المؤاخاة والشفقة، إن شاء الله تعالى».

بين عبد الحميد الكاتب في تلك الفقرة ويؤكد على حفظ الجميل لمن علمه، ومن يعمل عنده، وإن نبا الزمان بأحد وعضه الدهر بنابه، فلابد من مواساته والشعور بشعوره، ثم دعا إلى المحافظة على سمعة الكتاب أيا كان وضعهم في السراء والضراء، مع ضرورة البعد عن الانحراف والوقوع في الخطأ عند تغير الحال.

كما يؤكد على الحفاظ على خلق الوفاء وحسن التعامل مع من يصاحبه، وعليه بتقوى الله، وحسن مراقبته فيما يتولاه الكتاب من أمور الرعية مع مراعاة الرفق بالضعيف، وإنصاف المظلوم، والعمل على تأليف الرعية، والتواضع في المجلس، وحسن التعامل مع سجلات الخراج، واختيار أخلاق من يصاحبه، فيعينه على الحسن، ويبعد عن السيء، ثم طالب الكتاب بحسن المعاملة مع الناس، ويتعاملوا معهم كما يتعامل سائس البهيمة مع بهيمته.

كما بين أن الإنسان بعقله وعلمه، أكرم وأولى بحسن التعامل من البهيمة التي لا تعقل مع الاتصاف بالإمعان في النظر والروية والفكر، وعلى الكاتب أن يصل بحسن معاملته على درجة المؤاخاة والشفقة.

التحليل البلاغي:

استهل الكاتب جملته بأداة الشرط "إن" معطوفًا على ما قبلها بالواو، وذلك للتوسط بين الكمالين لوجود المناسبة التامة بينهم، ثم تلاها بالأمر

"فاعطفوا - وواسوه" معطوفًا بالفاء الدالة على السرعة والتعقيب، وكأنها كسرت حاجز الزمن لما فيها من ضرورة اتخاذ اللازم تجاه من غدر به الزمن وتغير معه الحال، وذلك لأن مكانة الكتاب غالية عالية، وساق لهم هذا الأمر بطريق النصح والإرشاد حتى ينفذوا ما يطلب.

ثم أردفها بحالة أخرى وهي: إذا تقدم العمر بالكتاب، أو أقعده سنة عن التواصل مع الآخرين بطريق أو آخر، طلب منهم على سبيل النصح والإرشاد أن: «فزوروه وعظموه وشاوروه، واستظهروا بفضل تجربته، وقدم معرفته، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه... وإن عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة...».

قوله: (وإن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه، حتى يرجع إليه حاله، ويثوب إليه أمره، وإن أقعد أحدكم الكبر عن مكسبه ولقاء إخوانه...) فقد صدر الكاتب جملته بالتركيب الشرطي، ثم جاء الجواب بصيغة الأمر (فزروه - عظموه - شاوروه - استظهروا...) وكلها أفعال متتالية مرادٌ بها النصح والإرشاد، معطوف بعضها على بعض للاشتراك في الحكم، ولوجود المناسبة التامة بينهم، فها هو عبد الحميد الكاتب يجعل من ابتلاء أحد الكتاب بنائبة أو مصيبة جائحة أو مقدمة تقتضي النتيجة الآتية: (وهي عطف زملائه عليه ومواساته) كما يجعل من عجز أحدهم عند الكبر ألا يكون سببًا في عدم تخلي زملائه عنه، وزيارته ومشاورته واستظهار فضل تجربته مستخدمًا تركيبين شرطيين، يقومان على تعلق سببي بين الشرط وجوابه، وكما أن التعليل السببي في التركيب الشرطي يساعد في توليد حجة أو حجج

ذات صلة بالحجة الأولى، فيكون هناك ربطٌ بين المقدمة والنتيجة بالانتقال من إحداهما إلى الأخرى(١).

كما أن توالى تلك الأوامر التي يوجهها الكاتب للكاتب بهذا الشكل لدليل قاطع على قوة العلاقة التي تجمع بين الكتاب بعضهم ببعض، ودلالة واضحة على حبه وتقديره لهم، وهذا ما يجب أن يكونوا عليه سواء في السراء أو الضراء، لذا نراه مرة يقول عليهم (إخوانه – ولده – أخيه) بطريق الإضافة للاختصاص والتمييز، وغيرها كثير من الأفعال التي تدل معناها على مبناها من العطف والحنو والأنس...، فهم وإن لم تجمعهم وشائج الدم والنسب، تجمعهم صنعة واحدة وهي من أشرف الحرف ألا وهي الكتابة.

ويأتي التصوير في قوله: «فإن عرضت في الشغل مَحْمَدةٌ فلا يضيفها إلا إلى صاحبه، وإن عرضت مذمة فليحملها هو من دونه» فالجملتان استعارة الأولى: «فإن عرضت في الشغل محمده فلا يضيفها إلا إلى صاحبه» حيث شبه المحمدة بكائن حي ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازمه على سبيل الاستعارة المكنية، والثانية في قوله: «وإن عرضت مذمة فليحملها هو من دونه، حيث شبه المذمة بكائن حي يعرض ويحمل، ثم حذف المشبه به ورمز بلازمة على سبيل الاستعارة المكنية، وقد عرضت الجملتان بمعرض الشرط، لها فعل شرط وجواب شرط، فبمجرد الاستماع إلى أداة الشرط وفعلها تتشوق النفس لمعرفة جملة الجواب، إذ يتطلع المخاطب عند سماع

(١) البعد الحجاجي لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب، ص(٢٥٣-٢٥٤)، الأستاذة/ بولفعة وافية، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، المجلد (٥)، العدد(١٢)، ديسمبر٢٠١٧.

الجملة الأولى إلى معرفة الجواب، فيظل مترقبًا له حتى يقف عليه فيتمكن في ذهنه وجملة الشرط: «فإن عرضت في الشغل محمده... »، وجملة: «وإن عرضت مذمة... » لو فكر المتلقي فيها لظن أن الجواب في الأول لن يخرج عن مثل: «فليضفها لنفسه»، وفي الثانية «فليضفها لغيره أو ليتركها»، وعندما تأتي جملة «فلا يضفيها إلا إلى صاحبه»، وجملة «فليحملها هو دونه» يتلقاها العقل بمزيد من التفكر والتدبر والتأثير والتأثر، كما يوجد وسيلة تأكيد أخرى ووسيلة إمتاع للمخاطب وذلك من خلال العطف بين الجملتين وذلك للتوسط بين الكمالين فكلتاهما خبريتان لفظًا ومعنى ولا يوجد مانع من الوصل لذا ربط بينهما بواو العطف «فإن من شأن التناسب أن يزيد الوصل حسنًا ويضفى عليه جمالًا وبهاءً»(١).

وهذه المناسبة بين الجمل ضرورية لصحة نسق الكلام وتلاوته، وكلما كان الامتزاج بين الجملتين أشد تلاؤمًا كانت الواو أكثر تمكنًا وأحكم إصابة(٢).

كما أن الجملة «فإن عرضت... من دونه» فيها مقابلة بديعة وضحت وبنيت الحال فقد قابل بين (محمده - صاحبه - هو الآخر) وبين (مذمة - هو - أنا) أي تضاد المحمدة مع المذمة وهو الآخر (الصاحب) مع أنا

(١) التصوير البياني للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، أ. د/ على على صبح، ص(١٠٠٣)، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث بدون تاريخ.

(٢) دلالات التراكيب دراسة بلاغية، أ. د/ محمد محمد أبو موسى، ص(٢٨٥)، الناشر/ مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، (١٤٨)، ١٩٨٧م.

"المتكلم"، وقد بينت المقابلة موقفين متناقضين أتم التناقض تجتمع فيهما جوانب الرحمة والعطف والحنو على الكتاب الذي تغير بهم الحال.

وفي قوله: وليحذر السقطة والذلة والملل عند تغير الحال، فإن العيب إليكم معشر الكتاب أسرع منه إلى القراء، وهو لكم أفسد منه لها، مع ما في المضارع المقترن بلام الأمر من التنبيه على المداومة والحذر من هذه الصفات لذا لم يأت بصيغة الأمر (فاحذر).

ونجده قد ناسب بين "السقطة" و"الزلة" ثم جمع إليها الملل، ولعل "الملل" من وجهة نظر الكاتب –من الأسباب المؤدية إلى السابقتين وهذا يعرف بمراعاة النظير.

ثم علل ذلك بقوله «فإن العيب إليكم معشر الكتاب أسرع منه على القراء... » حيث عبر باسم التفضيل (أسرع – أفسد) وذلك للدلالة على حرصه الشديد على تنزيه الكتاب عن كل عيب، فالكاتب يبرر لقوله، فظهور العيب في الكتاب أسرع منه إلى القراء، هي مقدمة حجاجية لنتيجة ضمنية مفادها، فقدانهم لمكانتهم وسط القراء، وبما أن فقدان المكانة نتيجة لسرعة ظهور العيب فيهم، فإنه يصبح مقدمة لحصول المذلة، والمفسدة وعليه فإن الوصل بين المقدمة الأصل والنتيجة هو وصل تتابعي بين سرعة ظهور العيب في الكتاب بوصفها العلة الأساس، وحصول المذلة والمفسدة بوصفه نتيجة له، لذا يجب على الكتاب من وجهة نظر عبد الحميد تجنب كل ما يوقعهم في السقطة والذلة والملل[1]، لذا نجده قد عرض ذلك في معرض التصوير

(١) البعد الحجاجي لرسالة عبد الحميد إلى الكتاب، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، المجلد(٥)، العدد(١٢)، ديسمبر٢٠١٧، ص(٢٥٢).

ليزداد التأثير والتأكيد حيث صور العيب بإنسان يسرع على الكتاب ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وهذه الاستعارة توحي بضرورة تجنب من يتهمهم بالعيب والنقص.

وقد حذفت أداة النداء في قوله: "معشر الكتاب" فالتقدير "يا معشر الكتاب" وذلك لقربهم الشديد منه، وقد عاون هذا الحرف الكاتب على استمراره في حديثه الذي أراد التحدث فيه في أقرب وقت وبأقصى سرعة، وفي تكراره لقوله: "معشر الكتاب" دلالة قاطعة على تأكيده على مكانتهم العالية، وجذب انتباههم وحرصه عليهم وعلى مصلحتهم.

وقد عاون القصر التصوير على أداء المعنى المراد ففي قوله: "فإن العيب إليكم معشر الكتاب أسرع منه إلى القراء" قصر طريقه تقديم شبه الجملة على الخبر لإفادة التوكيد والتخصيص، وأردفه بقصر آخر زيادة في الإقناع والتأثير في قوله "وهو لكم أفسد" بتقديم شبه الجملة على الخبر، إذ أصل الكلام أن يقال "هو أفسد لكم" ولكنه قدم للاختصاص.

ثم أخذ الكاتب يوجه النصح والإرشاد لجماعة الكتاب، ويبين لهم طريقة تعاملهم مع الناس ومع بعضهم البعض، وما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات من خلال أفعال الأمر "استشعروا - فليراقب - ليؤثر - ليكن - فليسلس - فامنعوا - واعملوا... ".

فهو يخاطبهم خطاب المحب الحريص، لذا لجأ إلى الدعاء لفئة الكتاب بقوله: "وفقكم الله -رحمكم الله.... " لأنه يستشعر أنهم لن يخيبوا ظنه، وخاصة هم أهل صناعة شريفة وحرفة عفيفة.

كما نلاحظ توظيف الكاتب للمضارع المقترن بلام الأمر كثيرًا (ليكن – ليراقب – ليؤثر....) ليبين مدى حرصه الشديد على نصح الكتاب، وصدقه في النصيحة لهم بما يرفع من قدرهم ومكانتهم ورغبته في سرعة الاستجابة، فهو يقدم لهم دستور حياة في التعامل مع بعضهم البعض، مع حرصه على استمرار ذلك فيهم وتجدده آنًا بعد آن.

وقد اعتمد الكاتب على دور الطباق في أداء المعنى وتحقيقه في قوله (الرخاء –الشدة – الحرمان – الإحسان – السراء – الضراء – حسنها – قبحها – الحسن – القبح –....) وبهذا نلحظ ذلك التساوي في الإيقاع، وبالإضافة للطباق نجد الجناس، حيث جانس الكاتب بين "الضراء – السراء" عن طريق الاختلاف بين حرفي الصاد والسين والمخرج فيها واحد، وقد استطاع الكاتب من خلال الطباق والجناس بإمكاناتهما التعبيرية الثرية وتشكيلاتهما البديعية التي عملت على المستويين الداخلي والخارجي على أداء المعنى، فتمكن في الأذهان واستقر في الأفكار، وعز لدى العقول، كما اعتمد الكاتب على حسن تقسيم فقراته «فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه الرجل يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه، فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره، واحتماله وصبره، ونصيحته وكتمان سره، وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه... » الذي أحدث جرسًا موسيقيًا بديعـًا. بالإضافة إلى السجع في قوله: «من وفائه وشكره/ واحتماله وصبره/ ونصيحته وكتمان سره/ وتدبير أمره/ للأشراف مكرمًا وللفيء موفرًا، وللبلاد عامرًا وللرعية متألفًا وعن إيذائهم متخلفًا... » والوصل بالواو ودلالته على بلوغه حد الكمال في كل صفة على حده.

والملاحظ أن عبد الحميد في هذه الرسالة قد جعل النغمة عالية شديدة الإيقاع، فأقامها على أساس من التوازن بين الفقرات القصيرة، للحفاظ على تكثيف الصوت المكرر وعدم تشتيته، لأن الأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، لأنها إذا كانت معتدلة وقعت في النفس موقع الاستحسان.

وفي قوله: «والكاتب بفضل أدبه وشريف صنعه ولطيف حيلته ومعاملته لمن يجاوره من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه من سائس البهيمة.... الراكب».

نجد الرابط الحجاجي (الواو) قام بالوصل بين الحجج وترتيبها لتقوية النتيجة المطروحة ودعمها وهي «الكاتب أولى بالرفق لصاحبه الذي يحاوره ويناظره من سائس البهيمة»، وتتمثل هذه الحجج في: أدبه، شريف صنعه، لطيف حيلته، معاملته لمن يحاوره من الناس ويفهم عنه ويخاف سطوته(١).

ولم يكتف الكاتب بتلك المؤكدات فحسب بل إنه أتى بظل وارف لتأكيد كلامه من خلال التشبيه في قوله: «إذا صحب أحدكم رجلًا فليختبر خلائقه، فإذا عرف حسنها وقبيحها.... وداخلهم».

حيث شبه حال الكاتب في سياسته وتعامله مع الناس بحال سائس البهيمة الذي يوجهها ويربطها إن شردت أو خرجت عن النظام الموضوع لها، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من سياسة البهيمة وإحكام شرودها وخروجها عن موضعها، والأخذ بيدها برفق حتى تعود لصوابها على سبيل التشبيه التمثيلي.

وقد وفق الشاعر في تلك الصورة حيث عرضها في معرض صورة محسة ترى بالعين أكثر من مرة، وأجزاؤها موجودة، فحال الكاتب وسياسته مع

(١) البعد الحجاجي لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب، ص(٢٥٥).

الناس كحال السائس مع البهيمة التي تتمرد عليه وهو فطن لذلك، وبالرغم من هذا يأتيها مرة من أمامها، ومرة من خلفها حتى يعيدها للطريق، ويحسن سياستها، فهكذا حال الكاتب مع الناس وسياسته معهم ومعاملته لهم، تلك المعاملة القائمة على اللطف واللين في موضعه والشدة، والسيطرة إن تطلب المقام ذلك.

وقد عرض تلك الصورة التشبيهية في معرض التقسيم حيث ذكر الأخلاق في صنفين (الحسن – القبح)، ثم فصلهم في التعامل مع حسن الخلق وكذلك في التعامل مع قبيحها.

ثم ذكر حديثه عن سائس البهيمة مجملًا، ثم فصله من خلال كل صفة وما يناسبها من عمل، وقد استوفى جميع الحالات ولم يترك منها شيئًا، إذا كانت رموحًا لم يهجها إذا ركبها، وإن كانت شبوبًا أتقاها من قبل يديها، وإن خاف منها شرودًا توقاها من ناحية رأسها، فإن كانت حرودًا قمع برفق هواها في طريقها، وإن استمرت عطفها يسيرًا، فيسلس لها قيادها.

فلم يترك لها حالة إلا وأتى بها وقدم لها الحل والعلاج وهو ما يعرف بحسن التقسيم، كما استخدم عبد الحميد أسلوب الشرط لتأكيد كلامه، وقوله "إذا صحب أحدكم رجلًا فليختبر خلائقه" فالشرط يستوجب الجواب، ويبين النحاة القدامى أن جملة الشرط سبب في جملة الجواب، ولذا لا يستغنى المسبب عن سببه قال ابن جني "وذلك أن حقيقة الشرط وجوابه أن يكون الثاني مسببًا عن الأول"[1]، وهو من التفصيل في التشبيه من تشبيه الشيء بالشيء في حالاته المتعددة.

(١) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق/ محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، دط. دت. ح(٣) ص(١٧٥).

فمصاحبة أحد الكتاب رجلًا هو مقدمة للنتيجة التي هي "اختبار خلائقه ومعرفة حسنها وقبحها" لتصبح بدورها مقدمة للنتيجة التي بعدها وهي "إعانته على ما يوافقه من الحسن وصرفه عما يهواه من القبح، ويمكن بناء على هذا التسلسل الشرطي الربط بين أول مقدمة وآخر نتيجة في الخطاب، فيصبح مصاحبة رجل مقدمة لإعانته على التحلي بالخلق الحسن وإبعاده عن كل خلق رذيل وقبيح(١).

ونلحظ أن عبد الحميد قد استطرد في عرض هذه الفقرة، فهو لم يقصد في رسالته تلك إرشاد سائس الخيل، أو الحديث عن أخلاق الخيل وصفاتها وكيفية التعامل معها، وإنما كان موضوع الرسالة هو الكتاب، وما يحتاجونه في حياتهم العلمية والعملية، فهذا هو الهدف الأساسي من الحديث وما جاء بتلك الصورة عن السائس وطريقة تعامله إلا لمجرد التوضيح الذي يدرك من خلاله كيفية التعامل ومعالجة الأمور، مع الجموع الغفيرة الكثيرة المختلفة في الطباع والأحوال، بذكر وتفصيل أحوال المشبه به.

هكذا نجد عبد الحميد الكاتب قد وضع للكتاب دستورًا في التعامل مع بعضهم البعض من خلال توظيفه لبعض الأفعال الدالة على ذلك مثل:

«وإن عرضت مذمة، فليحملها هو من دونه، وليحذر السقطة والزلة – وليراقب الله –عز وجل–وليؤثر طاعته– وليكن على الضعيف رفيقًا – وليكن بالعدل حاكمًا – وليكن في مجلسه متواضعًا.... ».

كل هذه الأفعال تسهم بشكل كبير في بيان حرص عبد الحميد على الكتاب وحبه لهم.

❁❁❁❁❁

(١) البعد الحجاجي لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب، ص(٢٥٤).

المبحث الخامس

القصد والاعتدال في أمور الحياة

يقول عبد الحميد الكاتب:

«ولا يجاوزن الرجل منكم – في هيئته ومجلسه، وملبسه ومركبه، ومطعمه ومشربه.... والتحدث بنعمته»

المعنى والتحليل:

يوصي الكاتب الكتاب بالاعتدال والتوسط في كل شيء، فالاعتدال يكون في المجلس والملبس والمركب والمطعم والمشرب والإنفاق،

فما يصل إليه الإنسان من نجاح ما هو إلا توفيق من الله –عز وجل–وليس من تدبير العبد، فإن الذي برز من جميل الصنعة وقوة الحركة إنما هو بفضل التوكل على الله، وحسن تدبيره – سبحانه – ثم تدرج مرة أخرى لبعض الصفات الخلقية التي لا ينبغي أن يتخلق بها الكاتب ومنها: العجب والغرور وتزكية النفس، التواضع لعظمة الله، والتذلل له وشكره على نعمه سبحانه في السراء والضراء.

التحليل البلاغي:

بدأ الكاتب حديثه بالنهي "ولا يجاوزن الرجل منكم" لغرض التحذير في الإسراف في الملبس والمشرب والمطعم، وعليه بالاعتدال في شتى أموره، معتمدًا في بيان ذلك على حسن تقسيمه لعباراته، ووصله بين مفرداته حتى يتكامل البنيان، لتأدية المعنى المراد، فقد ذكر الشيء وما يناسبه فهيئة المجلس يناسب الملبس، والملبس يستدعي المركب والطعام يناسب الشراب، وكل ذلك يتكامل معه البنيان في أبهى منظر وأكمل عبارة.

كما أكد كلامه أيضًا من خلال الجناس في قوله (مجلسه -ملبسه) فقد اختلفا في حرفي (الجيم والباء) وقد أضفى هذا الجناس على الأسلوب رونقًا وبهاءً، وزاد الصورة عمقًا وإيحاءً، وقد أشاد به الإمام عبد القاهر قائلًا: «كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها»(١).

وهذا يعني أن الوظيفة الموسيقية التي يؤديها الجناس تحمل في طياتها بعدًا دلاليًا من قيمتها الفنية، هذه القيمة قد أدركتها وأشادت بها الدراسة النقدية الحديثة، فالدكتور على عباس علوان لا يعد الجناس حلية وزخرفًا، بل يدعه مركزًا موسيقيًا يقابله في البيت مركز موسيقيًا آخر، فيضيفان عليه تنغيمًا داخليًا خاصًا(٢).

ثم دعاهم للاستعانة على العفاف بالقصد في قوله: «واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم، وقصصته عليكم، واحذروا متالف السرف، وسوء عاقبة الترف» عن طريق التصوير، فقد شبه العفاف والقصد والسرف والترف بشيء محسوس، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

وقد عاون الجناس الاستعارة في أداء المعنى في قوله: (السرف-الترف) حيث اختلفا في حرفي السين والتاء وكلاهما من مخرج واحد، ولا يخفى

---

(١) دلائل الإعجاز، ص(٥٢٤).

(٢) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجمالات النص، د/ علي عباس علوان، ص(٣١٠)، الناشر دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام ببغداد، بدون تاريخ.

التناسب بينهما، فالترف ملازم للسرف والإسراف، فالأول نتيجة الثاني، والثاني سبب الأول وهو ما يعرف بمراعاة النظير.

وقد عزز كل ذلك بالسجع المتوازي في قوله: «احذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف، فإنهما يعقبان الفقر، ويذلان الرقاب، ويفضحان أهلهما، ولاسيما الكتاب، وأرباب الآداب» فالسجع بين قوله: "السرف –الترف"، و "الرقاب –الكتاب"، كما يوجد مراعاة نظير بين الفقر، وإذلال الرقاب فأحدهما سبب والآخر نتيجة، كذلك بين الكتاب وأرباب الآداب.

ثم نبه عن عدم فعل ذلك الأمر بقوله: "احذروا" الأمر الصريح بمعناه الإلزامي، وبين سبب هذا التحذير بقوله: «فإنهما يعقبان الفقر، ويذلان الرقاب»، وقد عطف الجملة الثانية على الأولى بالفاء للإسراع، في بيان سبب ذلك لأنه بمجرد ذكره هذا تطلعت النفس لمعرفة سبب ذلك، فكان الجواب الشافي لهم المصدر بالفاء وإن المؤكدة "فإنهما يعقبان... ".، ثم استخدم حرف العطف "ثم" بعد ذلك في قوله «ثم اسلكوا من مسالك التدبير أفصحها محجة وأصدقها حجة، وأحمدها عاقبة » وذلك إشارة إلى ما فيها من التراخي والإهمال الزمني بين الوقت الذي سينفذ الكتاب تلك الوصايا، وبين الوقت الذي قال فيه مقالته هذه فـ"ثم" تجعل القارئ يقرأ الأحداث على مكث وتأمل، فهي نقطة فاصلة بين زمنين بين القول والتحقيق.

ونلحظ الجناس في قوله: "حجة –محجة" وهو جناس ناقص أحدث جرسًا موسيقيًا أدى إلى تأكيد المعنى في ذهن السامع.

ثم اتجه للأمر مرة أخرى في قوله: «وأعلموا أن للتدبير آفة متلفة، وهي الوصف الشاغل لصاحبه عن إنقاذ عمله ورؤيته، فليقتصد الرجل منكم في

مجلسه..... وليوجز في ابتدائه... وليأخذ بمجامع حججه، فإن ذلك مصلحة لفعله، ومدفعة للتشاغل عن إكثاره... ».

فقد توجه إليهم بصيغة الأمر للنصح والإرشاد، وأتبع كل أمر منه العلة المستفادة منه حتى يتعلموا ويلتزموا بكلامه، فمع الأمر يعقبه بيان العاقبة، وكأنه إنذار لمن لم يمتثل لتلك الأوامر، احذروا متالف الشر وسوء العاقبة، فإنهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب، وهكذا.....

وقد جاءت هذه الأوامر في سلسلة مترابطة البيان يسلم بعضها بعضًا، فقصد الرجل في مجلسه يترتب عليه القصد في منطقه، ومن ثم يترتب عليهما إيجاز في الابتداء والانتهاء، ثم إن أخذه بمجامع الحجج مترتب على كل ذلك.

ثم طلب منهم التضرع إلى الله عساه أن يوفقه ويسدده، «وليضرع إلى الله في صلة توفيقه وإمداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه»، يواصل الكاتب استخدامه لأدوات التعليل، لتبرير أفعاله وأقواله، فهو يريد أن يقتنع الكتاب بضرورة اللجوء والتضرع إلى الله في إمدادهم بالتوفيق والسداد، لذلك أورد حجته

التي تبرر دعوته وهي «مخافة الوقوع في الغلط المضر بالبدن والعقل والأدب» مستخدمًا لفظًا تعليليًا، والمتمثل في المفعول لأجله مخافة.

ثم جانس في قوله «فإنه إن ظن منكم ظان، أو قال قائل» بين قوله "ظن- ظان، قال -قائل" جناس ناقص بزيادة الألف في الأولى "ظان" فقد جانس بين "ظن" الماضي واسم الفاعل "ظان" كما جانس بين "قال" الماضي، واسم الفاعل "قائل" بزيادة الألف المقلوبة همزة.

ولا يخفى الإطناب في قوله: «فإن أعقل الرجلين عند ذوي الألباب، من رمى بالعجب وراء ظهره، ورأى أن صاحبه أعقل منه... » إذ أصل الكلام أن يقال: فإن أعقل الرجلين من رمى بالعجب وراء ظهره...، ولكنه أدخل الجملة المعترضة، "عند ذوي الألباب" ليشعر المتلقي بأن هذا ليس رأيه فقط، بل إن أهل الألباب والعقول هم من يدركون ذلك ويقرونه، وقد تآزر مع الاعتراض في الوفاء بالمعنى الجناس في قوله "رمى- رأى" باختلاف حرف الميم والهمزة في المخرج مما أحدث نغمًا وجرسًا موسيقيًا بديعًا، بالإضافة إلى الاستعارة بالكناية بذكر الرمي مع العجب.

المبحث السادس

خاتمة الرسالة: (من يلزم النصيحة يلزمه العمل)

يقول عبد الحميد الكاتب:

«وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل.... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»

المعنى والتحليل البلاغي:

أنهى عبد الحميد الكاتب رسالته بحكمة غاية في الروعة والإبداع، (من يلزم النصيحة يلزمه العمل)، فالأقوال لا تؤكد إلا بالأفعال، ثم تضرع إلى الله بالدعاء أن يتولى الكتاب بالسعادة والإرشاد.

التحليل البلاغي:

بدأ عبد الحميد الكاتب خاتمته بضمير المتكلم "أنا"، وذلك لأن المقام مقام تكلم، ثم قال "كتابي" بالإضافة لياء المتكلم للتعظيم من شأن كتابه، وضرورة الأخذ بما ورد فيه لأهميته.

ثم رجع وأشار إلى ما ورد في كتابه بقوله "هذا" لتمييزه أكمل تمييز، فكأنه أصبح أصلاً يشار إليه ويحتذى به، فهو ظاهر للعيان ومشاهد، يرونه رأي العين فيجب العمل بما ورد به.

ولم يكتف عبد الحميد بوسائل توكيده العديدة التي استخدمها في رسالته، لإقناعه السامعين، بل أتى بمثل ختم به رسالته " ومعروف أن المثل في الخطابة يقوم مقام الاستقراء في المنطق، فالمثل استقراء بلاغي، فهو حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها "[1]

---

(١) في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، د/ محمد العمري، ط(٢)، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

ثم أكد خطابه بضرب المثل «من يلزم النصيحة يلزمه العمل» حيث بدأ مثله باسم الموصول الذي يلفت الانتباه ويدعو لمعرفة ما سيحدث مما سيأتي "من" وهو يخفي تحته أشخاصًا كثيرة، وهم من يلتزمون بفعل تلك الوصايا والنصائح، وهم كثير يضيق المقام عن ذكرهم، كما أن في التعبير باسم الموصول فيه تعظيم لشأنهم ورفعة قدرهم، حيث إنهم بهذا الصنيع وإلزامهم للنصيحة سوف يحققون ما يتمنون، وقد أشعر التعبير بالمضارع "يلزم" باستحضار صورتهم وهم على هذه الحالة، فالفعل يلزم فيه معنى التعلق الذي لا انفكاك فيه، فهو متعلق بالنصيحة لا ينفك عنها ولا يبرحها، وفي هذا دلالة على قوة إصراره وعزيمته، لتنفيذ ما يريده من خير وعمل.

ثم بين إن لزوم النصيحة تكون نتيجته: "يلزمه العمل" بتكرار نفس الفعل وذلك للدلالة على الإصرار وديمومته، إلى جانب الإضافة التي تفيد التخصيص والتأكيد.

ثم جاء قوله: "هو جوهر هذا الكتاب" معبرًا بالضمير العائد على العمل المذكور مرة بالاسم الظاهر، ومرة بالضمير، وذلك للإشارة إلى أهميته وتخصيصه دون غيره، بالإضافة لتعريفه بالإشارة لزيادة التأكيد والتخصيص.

ولم يكتف بذلك بل جعله غرة كلامه، حيث شبه ما جاء به في كتابه وأهمية العمل به وما ورد فيه، بالغرة لبيان علو قدره ورفعة شأنه، فهو في مرتبة عالية بعد ما ذكر من كلام الله -عز وجل-، وقد اعتمد في ضربه للمثل هذا على تقدير الكتاب له، وسماعهم لكلامه " فالخطيب إذا كان كلامه يلقي على نحو يجعله خليقًا بالثقة، لأننا نستشعر الثقة على درجة أكبر وباستعداد أوسع

بأشخاص معتبرين في كل الأمور بوجه عام، لكن إذا أعوز اليقين وكان مجال للشك فإن الثقة تكون مطلقة(١).

ثم ختم كلامه بأحسن ختام وهو الدعاء لهم كما بدأه بالدعاء، دعاء الافتتاح قبل التفصيل في ذكر النصائح، ودعاء الختام لمن اتبع ما ذكر من النصائح بأنه سيسعد ويفوز، ولكل ما يناسبه، قائلًا: "تولانا الله وإياكم" ثم أتبع الدعاء بالنداء "معشر الطلبة والكتبة " للتنبيه على ضرورة ما جاء بهذا الكتاب، وحرصه الشديد عليهم، داعيًا لهم بأن يسعدهم الله ويرشدهم لطريق الصواب فهو ولي ذلك والقادر عليه، فقوله تعالى: (تولانا الله وإياكم) عن طريق الأسلوب الإنشائي، تلاه بالنداء لمعشر الكتاب، وطلبة العلم "يا معشر الكتاب " للتنبيه على ضرورة ما جاء بهذا الكتاب، وضرورة الأخذ به والعمل عليه، ثم ختم كتابه بقوله: والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سلام يشيع الأمن والأمان في النفوس، وهي أسلوب خبري لفظًا انشائي معنى، والغرض منه الدعاء، وكما أحسن الكاتب في الابتداء بـ "أما بعد " وضمنها الدعاء، أحسن في الختام وعاد إلى الدعاء فوفق في البدء كما وفق في الختم، وهو ما يعرف بحسن الانتهاء.

❁❁❁❁❁

(١)من بلاغة الخطاب الإقناعي، ص(٢٤-٢٥).

المبحث السابع

السمات الأسلوبية والخصائص التعبيرية لعبد الحميد الكاتب في رسالته

أولًا: ألفاظ الرسالة:

مما سبق يتبين أن عبد الحميد الكاتب في رسالته جمع بين الإيجاز والإطناب في رسالته، وكان يجيد كلاً منهما ويستخدمه في مكانه المناسب، وإن كان للإطناب أميل وقد تخير ألفاظ رسالته بعناية حيث كانت واضحة ومعبرة عن معانيها، فلا توجد في رسالته كلمة وحشية ولا مبتذلة، حيث توفرت لها صفات الفصاحة، فهو سيد قلمه ولفظه، سيد التعبير العربي النابع من ثقافته الإسلامية المحضة، فقد اكتملت للكاتب عدته، فلا ينقصه الفكر ولا تجانبه الثقافة قلم وفكر وثقافة مجتمعة معًا فخلفت كاتبًا لا مثيل له في عصره، ولاعتنائه باللفظ جاء كلامه جزلاً متين البناء، يراعي ما يقتضيه المقام وما تتطلبه المناسبة، كما غلب عليه التفكير المنطقي الذي ظهر في حسن تقسيم رسالته، وترتيب أفكاره، وجعل الجمل متساوية في الطول والقصر، كما تأنق في البدء والختام.....

ثانيًا: البناء التركيبي للرسالة:

عنى عبد الحميد الكاتب بالبناء التركيبي لرسالته، كما اعتنى باللفظة المفردة، فقد اتسمت رسالته بحسن التأليف، وقدرتها على الإقناع والإمتاع والتأثير، من خلال جملة من الوصايا والنصائح، التي بين فيها مكانة الكتاب وشرف مهنته، وفضل الكتاب وأثرهم على الدولة وانتظام شئونها...

وقد اتضح من خلال تحليل رسالته تناسب المفردات وتلاقي المعاني، وتعلق الكلمات بعضها بعناق بعض، كان يعتمد كثيرًا على خاصية الترادف الموسيقي، فالفكرة لا تؤدى في عبارة واحدة، وإنما في عبارتين أو عبارات،

حتى يكتسب الأسلوب ضربًا من التوقيع والتعادل الصوتي، فإذا العبارات تتلاحق متوازنة متعادلة تعادلًا موسيقيًا رائعًا، يرضي الأذن والشعور، يختار الجمل القصيرة، ويوشي عبد الحميد أسلوبه بحلية التصوير وما يدمج فيه من استعارات وطباق ومقابلة، وما فيها من ازدواج وترادف موسيقي يتيح لعبارته فنونًا مختلفة من الإيقاعات والموازنات الصوتية، كما يظهر في الرسالة التزامه المنطق الدقيق في تقسيم كلامه إلى أجزاء متميزة، وفقر متناسقة، لا يظهر فيها أي نبو، فأنت حين تقرأ رسالته يلذ عقلك لدقة معانيها، ويلذ شعورك لجمال تصويره وجمال موسيقاه.

كما تميزت الرسالة بطولها، وكان طولها لفائدة، فمضمونها عبارة عن نصائح قيمة لمعشر الكتاب، استهل رسالته بالدعاء "حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحماكم ووفقكم وأرشدكم"، هذا الدعاء يعتبر نهجًا معينًا في افتتاح فن الرسالة واختتامها، وهذا ما يسمى بحسن الابتداء، فالبليغ من يحسن ربط الدعاء بغرض رسالته، وختمها بالدعاء للكتاب بالإسعاد لهم وإرشادهم، وفيها بعض العبارات المتوازنة، «فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون».

ولم يغفل عبد الحميد عن الأسلوب القرآني، فقد تفنن في الإفادة منه في أسلوبه ومعانيه وفي الأخلاق الإسلامية.....

ثالثًا: الفنون البلاغية:

كان للفنون البلاغية التي استخدمها عبد الحميد الكاتب حضورًا بارزًا له صدى قوي ووقع آخّاذ على الأذن، فصوره جاءت واضحة المعاني ودقيقة،

عذبة الألفاظ، لا توعر فيها ولا غرابة، فالإطناب والإسهاب واستخدام السجع دون تكلف من سماته الأسلوبية، التي ميزت طريقته في الكتابة عن غيره من الكتاب في هذا العصر.

- نراه قد استخدم في رسالته جميع فنون البلاغة تقريبًا لإبراز فكرته والإقناع بها فمن فنون البلاغة التي وردت في رسالته على سبيل الذكر لا الحصر، أسلوب التقديم والتأخير الذي كان له الدور البارز في لفت الانتباه، وتشويق السامعين لمعرفة سبب التقديم.
- استخدامه لمعظم حروف العطف (الفاء، الواو، ثم) ووضع كل حرف في مكانه بحيث لا يصلح غيره فيه.
- كان لأسلوب التعريف والتذكير الدور الكبير في رسالته، لأغراض عدة وذلك لتحقيق إيصال الفكرة بأقصى سرعة.
- كثر استخدام مواضع الوصل في رسالته، وخصوصًا مواضع التوسط بين الكمالين لما فيه من إيضاح التناسب بين الجمل، والاشتراك في الحكم الإعرابي.
- ـ كثرت الأساليب الإنشائية في الرسالة من (أمر – نداء – نهي) ليشير بها إلى ضرورة اجتماع هذه الصفات في الكاتب المجيد، وكان أسلوب الأمر الأكثر ورودًا عن غيره من الأساليب اللغوية المستخدمة في الخطاب التوجيهي، فقد ورد في ثمانية وثلاثين موضعًا، وقد استخدم من صيغ الأمر (فعل الأمر – المضارع المقرون بلام الطلب) ولم يستخدم صيغتي اسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعله، كما ورد أسلوب النهي في رسالته إلى الكتاب في أربعة مواضع، واستخدم فيها الصيغة الرئيسة للنهي (لا تضيعوا –

فلا يضيفها - لا يجاوزن - لا يقل).

➢ وكان الغرض من استخدام الأمر والنهي هو النصح والإرشاد لجماعة الكتاب، فهو ينصحهم بمجموعة من الأمور التي تعينهم على إتقان هذه الصناعة.

➢ كما استخدم أسلوب النداء حيث نجده بنية مهيمنة في رسالته، لبيان مدى حرص الكاتب على سعيه الدؤوب للتواصل مع الآخر، ومحاولة لفت انتباهه، وإثارة اهتمامه بمضمون الرسالة التي يريد إيصالها، وكل هذا دليل على حبه لهم.

➢ كما استخدم أسلوب التحذير ولم يرد في رسالته إلا مرة واحدة في قوله «وإياكم والكبر والصلف والعظمة»، وفي ذلك دلالة على حرصه على تقديم كافة النصائح والإرشادات التي تجعلهم يبتعدون عن كل أمر يشينهم بمختلف الصيغ والوسائل عساهم يمتثلون.

➢ كما أن للإطناب الدور الأكبر سواء أكان بالتوازن أو الازدواج المقترن بظاهرة السجع كقوله: «أحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف»، «أن يكون حليمًا في موضع الحلم، فهيمًا في موضع الحكم، ومقدامًا في موضع الإقدام، ومحجمًا في موضع الإحجام ».

➢ -أما عن الصورة البيانية في الرسالة فقد استخدم الكاتب الاستعارة والتشبيه وأكثر من الكناية، تلك الأساليب التي لها تأثير قوي على نفوس المتلقين، وتعد من أبرز وسائل الاقناع والتأثير التي اعتمد عليها الكاتب في رسالته.

➢ كما جاء تصويره معبرًا عما يجيش في صدره، وما يدور بخياله، أما

عن البديع فقد تمكن عبد الحميد الكاتب من ظاهرة البديع وتوظيفها في إثراء فكرته، ومن المحسنات التي وردت في الرسالة (الطباق والجناس –مراعاة النظير – الاعتراض ـ حسن التقسيم – السجع بأنواعه "الترصيع – المتوازي" الازدواج.....

وقد تداخلت بعض أضرب البديع في بنية السياق، فالجملة الواحدة أحيانًا تصلح أن تكون شاهدًا في الجناس، والطباق، أو المقابلة، والمزاوجة، كقوله: «مقدامًا في مواضع الإقدام، محجمًا في مواضع الإحجام» والشواهد كثيرة على ذلك يعجز المقام عن ذكرها وقد تم شرحها داخل النص.

وعليه:

فهذه الرسالة " في فكرها وصوغها وأسلوبها ومضمونها من أروع ما سجلته الكتابة العربية في مثل هذا الباب "[1] (١)

فمن رسالته هذه يظهر "أن صاحبها أقام لها تصميمـًا دقيقـًا درس معانيها وأجزائها، ووضع خطة التعبير عنها، وربط ما بين الأقسام، وجمع بين البراهين أشدها إقناعاً وأبلغها أثراً[2]وذلك حتى تترك الأثر الطيب في نفس من يقرؤها.

❁❁❁❁❁

[1] الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، كتاب النثر، مصطفى الشكعة، ص: ٢٦٦

[2] الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجليل، ص: ٣٧٧

الخاتمة

اختتم هذه الرحلة الماتعة مع أسلوب عبد الحميد وبلاغته في التعامل مع المخاطب بجملة نتائج منها:

١-جمعت الرسالة بين حسن الصياغة وأهمية المضمون من ناحية، ومكانة صاحبها من ناحية أخرى.

٢-تنوعت طرق الإقناع والتأثير المستخدمة في الرسالة بين أساليب التعليل، والشرط، وكذلك الأفعال اللغوية، وحروف العطف والاستعارة، والتمثيل، والبديع، وأفعل التفضيل وصيغ المبالغة....

٣-اعتمد عبد الحميد الكاتب على الخطاب التوجيهي، لأنه الأنسب لتوجيه الكتاب إلى ما فيه خير ومنفعة لهم.

٤-تداخل أضرب البديع في بنية السياق وتشكيلها، فالجملة الواحدة تصلح لأكثر من شاهد.

٥-التزام الكاتب خلقيًا وأدبيًا في ترسله، فلا فحش ولا بذاءه في الألفاظ، ولا تردي في المعاني، ولا انحطاط في الأفكار.

٦-تنوع طرق الخطاب ووسائل الإقناع من خلال ذكر الشيء وسببه وعلته، والاستعطاف، وذكر مميزات الشيء، والاعتماد على الحالة النفسية للمخاطب ومراعاة أحواله.

٧-تنوع الصورة التعبيرية في الرسالة ما بين تشبيه، واستعارة وكناية، والإكثار منها إكثارًا يفي بالغرض ويتم الفائدة.

٨-راعى عبد الحميد الكاتب في خطابه للكتاب مستويات التفكير المختلفة تبعًا لفكر الآخر ونمط شخصيته التي تتنوع بين شخصية تميل

للمنطق، وأخرى للعاطفة، وثالثة للمجادلة، والحوار فنراه مرة يلقي كلامه مؤكدًا بأكثر من مؤكد، وأحيانًا يكون خاليًا من التأكيد، وتارة يستعطف، وأخرى يبين العاقبة....

٩ـ استخدم عبد الحميد أساليب الإنشاء الطلبي بكثرة في رسالته، من أمر ونهي ونداء، وذلك لما يتميز به الإنشاء الطلبي من لطائف بلاغية مختلفة تتناسب مع مقتضى الحال من نصح وإرشاد وزجر... أما التمني فلم يرد في رسالته...

١٠-كشف البحث عن العمق الدلالي لألفاظ الرسالة، فقد امتازت الرسالة بانتقاء ألفاظ ذات دلالات مؤثرة واضحة بعيدة عن الغريب مع فصاحتها وبلاغتها.

١١-كان منهج تكريم العقل واستلهام المعرفة بالاستدلال المنطقي للأدلة والبراهين مما امتاز به أسلوب عبد الحميد الكاتب في تعامله مع الكتاب، إذ يميز بالخطاب العقلي نتيجة الأمور وعواقبها التي تحتاج إلى إعمال العقل والفكر، وهو أسلوب خبري لفظًا إنشائي معنى الغرض منه الدعاء، وكما أحسن الكاتب في الابتداء بـ" أما بعد " ثم الدعاء لهم بحفظ الله وعنايته وتوفيقه لهم، أحسن في الختام بالدعاء لهم بتوفيق الله والسلام عليهم، وهو ما يعرف بحس الانتهاء والتخلص.

وهكذا جاء نظم الرسالة كله متماسكًا متوافقًا في غاية الانسجام، فكل لفظة تتناسب مع ما قبلها وتطلب ما بعدها.

كما جاءت كل لفظة في سياقها هي الأنسب والأليق، ولو جاءت غيرها في موضعها، لما أدت الغرض المطلوب، ولما توافقت مع هذا النظم البديع.

كما جاءت الأساليب متناسبة مع الوصايا التي أهداها للكتاب فكل أسلوب جاء في موضعه المناسب.

وختامًا نقول إن هذه الرسالة جمعت بين فنون البلاغة وأساليب البيان، وبين الوصايا وقوة الاحتجاج وأساليب الإقناع والتأثير المتعددة والتي تتناسب جميعها بكلماتها وحروفها وجرسها وأساليبها والتي تتآزر في تصوير الانفعال بالموقف، إنها رسالة أنفذ من السيوف إلى أعماق القلوب، صدح بها رجل عرف دوره، وآمن بقضيته، رجل حمل لسانًا بليغًا فصيحًا رجل وضع دستور" بدأت الكتابة بعبد الحميد واختتمت بابن العميد".

هذا وبالله التوفيق والسداد

الباحثة

المصادر والمراجع

١) الأدب في ظل الخلافة العباسية، د/ علي جميل مهنا، ط: ١، ١٩٨١م.
٢) الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، د/ مصطفى الشكعة كتاب النثر، دارا لكتاب اللبناني، ١٩٧٤م.
٣) الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم، كمال اليازجي، دار الجليل، ط: ١، ١٩٨٦م.
٤) أعلام الأدب في عصر بني أمية، محمد عبد المنعم خفاجي، رابطة الأدب الحديث، ط: ١، ١٩٥٤م.
٥) الإعجاز والإيجاز للثعالبي، الناشر، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
٦) أمراء البيان، محمد كرد علي، ط: ١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١١.
٧) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د/ محمد محمد أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د. ط، د. ـ.
٨) بيان العرب الجديد، حسين غالب، دار الكتاب اللبناني، ط: ١، ١٩٧١م.
٩) تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى بن محمد الحسني الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١ ٢٠٠٧م.
١٠) تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المطبعة البوليسية، بدون.
١١) تاريخ الآداب العربية، رشيد يوسف عطا الله، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط: ١، ١٩٨٥م.
١٢) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط: ٤.
١٣) تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ط: ٢.
١٤) التصوير البياني للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، أ. د/

علي علي صبح، الناشر، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون، ت.
١٥) التصوير الفني في خطب الإمام علي، د/ عباس علي الفحارم، مؤسسة دار صادق الثقافية، العراق، الحلة، ٢٠١٢م.
١٦) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، المؤلف/ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار المعارف، القاهرة، بدون.
١٧) جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، تأليف/ محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
١٨) جمهرة رسائل العرب، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، ج: ١، بدون.
١٩) جواهر الأدب، السيد أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف، بدون.
٢٠) جوهر الكنز لابن الأثير الحلبي، تحقيق د/ محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية، بدون.
٢١) الخطابة/ أرسطو طاليس، حققه/ عبد الرحمن بدوي، الناشر، وكالة المطبوعات، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩م.
٢٢) دلائل الإعجاز، الشيخ: عبد القاهر الجرجاني، ت. الشيخ/ محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(٢)، ٢٠٠٤م.
٢٣) دلالات التراكيب، د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط(٢)، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
٢٤) شرح أحاديث من صحيح البخاري، د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ٢٠٠١م.
٢٥) شرح عقود الجمان، السيوطي، د/ إحياء الكتب العربية، بدون.
٢٦) الصبغ البديعي، د/ أحمد موسى، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م.

٢٧) العقد الفريد لابن عبد ربه، الناشر/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤٠٤م.
٢٨) العمدة في محاسن الشعر وآدابة، ابن رشيق، تحقيق/ محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.
٢٩) فن الخطابة، الدكتور/ أحمد الحوفي، الناشر: الهيئة المصرية للتأليف والنشر، بدون.
٣٠) فن الخطابة، الشيخ أبو زهرة، الناشر/ دار الفكر العربي، بدون.
٣١) الفن الشعري في نثر عبد الحميد فكر ونغم، تأليف/ سعيد منصور، الناشر، منشأة المعارف، ١٩٧٩م.
٣٢) فن المراسلة عند مي زيادة، أمل داعوق سعد، منثورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢م.
٣٣) في بلاغة الخطاب الإمتاعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، د/ محمد العميري، ط: ٢، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان ٢٠٠٢م.
٣٤) القرآن والصورة البيانية، د/ عبد القادر حسين، الناشر عالم الكتب الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٣٥) الكتاب/ سيبويه، ت أ/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط الثالثة، ١٤٢٨هـ ١٩٨٨م.
٣٦) كتاب الوزراء والكتاب / عبد الله محمد بن عيد الجهشياري، ط: ١، تحقيق/ مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، دار النشر، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولادهء، ١٩٣٨م، القاهرة.
٣٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام الزمخشري، دار الفكر، ط أولى ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
٣٨) الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية، د/ محمود شاكر القطان، مطابع الأهرام، ط١٩٩٣م.

٣٩) لسان العرب، لابن منظور، الناشر دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة١٤١٤هـ.
٤٠) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الاثير، ت. د/ أحمد الحوفي، ود/ بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون.
٤١) مختار الصحاح، تأليف/ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: بولاق المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.
٤٢) مروج الذهب، علي بن الحسين بن علي المسعودي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ١٩٥٣م.
٤٣) مستويات السرد الوصفي القرآني "دراسة أسلوبية"، طلال خليفة سلمان، دار الضياء للطباعة والنشر، النجف الأشراف، ٢٠١١م.
٤٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تأليف/ أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، الناشر/ المكتبة العلمية، بيروت، بدون.
٤٥) المفردات في غريب القرآن، تأليف/ الراغب الأصفهاني، تحقيق/ محمد سيد كيلاني، الناشر/ دار المعرفة - بيروت- لبنان، بدون تاريخ.
٤٦) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار الفكر، ج(٣).
٤٧) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، المؤلف/ لجنة من مجمع اللغة العربية، طبعة ١٠/ ١٩٩١م.
٤٨) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.
٤٩) من الأسرار البيانية في الكناية القرآنية، الدكتور/ حمزة الدمرداش زغلول، الناشر/ المطعبة الإسلامية الحديثة، ط أولى، ١٩٩٨م.
٥٠) الوشاح على شرح المختصر لتلخيص المفتاح، محمد الكرمي

الحويزي، بدون طبعة وتاريخ.
٥١) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن أبي بكر لابن خلكان، دار صادر بيروت، ٢٠٠٧م.
٥٢) يتمة الدهر، الثعالبي، تحقيق/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط(١)، ١٩٨٣م.

الرسائل والمجلات

٥٣) فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد/ فيصل حسين العلي، رسالة ماجستير، إشراف أ. د/ محمد محمود قاسم نوفل، نابلس، فلسطين، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٥٤) الخطاب التوجيهي في رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب عبد الرحمن محمد، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ٢٠١٩م.
٥٥) مجلة مجمع اللغة العربية، تأليف نخبة من علماء مجمع اللغة، طبعة (١٠)، سنة ١٩٩١م.
٥٦) مقاربة في ضوء اللسانيات التداولية، عبد العزيز صابر، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، جامعة كفر الشيخ ٢٠٢٠.
٥٧) البعد الحجاجي لرسالة عبد الحميد الكاتب للكتاب، الأستاذة/ بولفعة وافية، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية والعربية، المجلد (٥)، العدد (١٢)، ٢٠١٧م.
٥٨) ظاهرة البديع في رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب، أحمد عبدالرحمن الذنيبات، د/ نزار عبد الله الضمور / مجلة الآداب / القاهرة / المجلد ٧٩/ العدد ٤/ ٢٠١٩

الفهرس

المحتوى	الصفحة
ملخص البحث	٣٩٥
Abstract	٣٩٦
مقدمة	٣٩٧
تمهيد	٤٠٠
نص الرسالة	٤١١
المبحث الأول: مقدمة الرسالة (منزلة أهل الكتابة).	٤١٧
المبحث الثاني: الأخلاق والصفات الواجب توافرها في الكتاب.	٤٢٦
المبحث الثالث: عدة الكتاب وعتادهم.	٤٣٧
المبحث الرابع: تقوى الله ومراقبته في التعامل، والمحاورة مع الناس.	٤٤٨
المبحث الخامس: القصد والاعتدال في أمور الحياة.	٤٥٨
المبحث السادس: خاتمة الرسالة (من يلزم النصيحة يلزمه العمل)	٤٦٣
المبحث السابع: السمات الأسلوبية والخصائص التعبيرية لعبد الحميد في رسالته.	٤٦٦
الخاتمة	٤٧١
المصادر والمراجع	٤٧٤
الفهرس	٤٧٩